

5 me Année, No. 195

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 29 - 3 - 1937

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

العـــدد ١٩٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ محرم سنة ١٣٥٦ — ٢٩ مارس سنة ١٩٣٧ » السنة الخامسة

فهرس العـــدد

وزارة المعارف

بمناسبة عيدها المئوى



« مصطفى مختار » أول ناظر للمعارف

فى الساعة العاشرة من صباح هذا اليوم تحتفل وزارة المعارف بانقضاء مائة عام على مولدها السعيد . ووزارة المعارف لا تزال ناشئة وان أدركت المائة ؛ ولعلها لم تبلغ الرشد إلا منذ أعوام قلائل ، فان القرن فى عمر الأمة كالعِقد فى عمر الفرد ، والشباب المهمل وإن طال بلاهة وغفلة — كان يومها الذى أبصرت فيه الوجود من الأيام الغر الوِضاء فى عهد الأمى العبقرى الطموح محمد على باشا . رأى بعينه الكلوء أن ما بالغرب من حضارة وعمارة وقوة انما أساسه الجيش والعلم وأدرك بفؤاده اليقظ أن الجنود

الألبانيـة لا تؤمّن الخوف ولا تحقق المطامع ، وأن الجامعة الأزهرية لا تعلم علوم الدنيا ولا تدرس فنون الحرب ؛ وأ كبرَ ما ترك نابليون بمصر من الآثار الصالحة على قصر احتلاله واضطراب حاله ، فحصر هذا الرجل النظورُ همه وعزمه فى إنشاء مصر الجديدة على الوضع الذى استقر عليه الزمان الحاضر والانسان الحديث ؛ فأقام المدارس للحرب وما يتصل بها من الطب والصيدلة والبيطرة والهندسة والكيمياء والعلوم والألسن ؛ ثم ربط هذه المعاهد المختلفة الدرجات والغايات بادارة واحدة سماها (ديوان المدارس) وجعل أعضاءه عشرة من المصريين الذى أوفدهم إلى أوربا ، والأوربيين الذين أقدمهم إلى مصر ، وجعل عليهم الأستاذ مصطفى مختار الدويدار

كان من ذلك الديوان الصغير ذلك الصورُ الذى انبعثت على صوته مصر ، والنسم الذى تنبهت من نفحته العروبة ، والقبس الذى استضاء بنوره الشرق . وكان من الطبيعى يومئذ أن يكون التعليم للحكومة لا للشعب ، وللبنين لا للبنات ، وللمادة لا للأدب ، فكانت الحركة الثقافية تتسع وتضيق تبعاً لحاجة الجيش والادارة . فلما فترت الوثبة العلوية فى عهد عباس وعهد سعيد زاد عرض هذه المصانع العلمية ، على طلب الدواوين الرسمية ، فوقفت البعوث ، وأغلقت المدارس ، وكانت ثلاثاً وستين مدرسة ابتدائية ، ومدرستين تجهيزيتين ، وإحدى عشرة مدرسة عالية ، فلم يبق منها إلا ثلاث للحربية والطب والصيدلة

***

أما اسماعيل فكان رجلا آخر . لم يكن سياسياً طامعاً كجده ، ولا عسكرياً فاتحاً كأبيه ، وإنما كان مدنياً باريسياً له ذوق ، وبه ترفع ، وفيه زهو ، فجعل التعليم للتمدين والتثقيف ، لا للتجنيد والتوظيف ، وطمح إلى أن تكون مصر جزءاً من أوربا ، فى مبانيها ومعانيها ، ورفاهتها وأنظمتها ، ففتح ما أغلق من المدارس وزاد عليها ، وأعاد البعوث إلى أوربا ، وأقام نظارة المعارف على هذا الوضع المعروف وأنشأ لتغذيتها دار المعلمين ، وابتغى الأسباب لتقليل الأمية ، وتلمس الوسائل لتعميم الثقافة ؛ وسار الأمر على هذا الطريق الواضح حتى دهانا الاحتلال الانجليزى وكل شىء كان يتحفز للنهوض ويتوثب للرقى ، فكأنما صببت ماء فى نار ، أو أقمت سداً فى تيار !

كان التعليم فى أواخر عهد اسماعيل واسع النطاق متعدد المناحى شعبى الغرض ؛ فالمدارس موفورة العدد ، واللغة العربية لسان المعلم ولغة الكتاب ؛ فأخذ الانجليز منذ اغتصبوا السلطان يقطعون أسباب هذه النهضة ، ويسيرون بالتعليم إلى وجهة أخرى ، فأغفلوا البعوث ، وأغلقوا مدرسة الألسن ، وأبطلوا المجانية ، وأهملوا اللغة العربية ، وجعلوا التعليم كله بالانجليزية ، وقصروه كما كان قبل اسماعيل على تخريج عمال للحكومة لا إعداد رجال للشعب ؛ وصار اسم (دنلوب) علماً على نوع من التدريب الاستعمارى الآلى تروّض به النفوس المتمردة على الضراعة ، والألسنة الآمرة على الطاعة ، والعقول المستقلة على التبعية . فكان من عواقب هذه السياسة السفيهة أن اتسع التعليم وضاقت التربية ، وكثر المتعلمون وقل العلم ؛ فتبجحت الجهالة ، وانتشرت البطالة ، وفسد الأمر فى الحكومة ، وساء الحال فى الأمة . ثم اشتعلت الحرب الكبرى فى أنظمة دنلوب وأمثالها فى كل دولة فأكلتها أكلا ذريعا ، ثم خمدت فاذا بقاياها فى كل مكان عصيانٌ وطغيان وثورة ، وإذا مصر تفلت من ربقة (جون بول) فتطلب الاستقلال ، وإذا المعارف تخرج من وصاية (دنلوب) فتبلغ الرشد ! ولكن الراشد لا يزال قريب عهد بالقصور ، فهو يختلج ليستقيم ، ويتذبذب ليعتدل ، ويتجمع ليثب . فاذا احتفلنا اليوم بمرور هذا القرن على وزارة المعارف ، فانما نحتفل بعهدها السعيد الذى أقبل ، وتطورها الجديد الذى لاح ، ومستقبلها الواعد الذى أشرق .

احمد حسن الزيات

عددنا السنوى الممتاز

يصدر العدد الممتاز فى يوم الاثنين المقبل حافلا كعادته بالأبحاث القيمة لأقطاب البيان وأعيان الأدب فى مصر والبلاد العربية وهاك بعض أسمائهم مرتبة على حروف الهجاء:

الدكتور ابراهيم بيومى مدكور
الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى
« ابراهيم مصطفى
الدكتور أبو العلا عفيفى
« أحمد أمين
الأستاذ أمين الخولى
« بندلى جوزى
« توفيق الحكيم
الدكتور حسن ابراهيم حسن
« شخت
الأستاذ عباس محمود العقاد
« عبد الرحمن صدقى
« عبد القادر المغربى
الأستاذ عبد الحميد العبادى
« عبد الوهاب عزام
« على الطنطاوى
« فخرى أبو السعود
« قدرى حافظ طوقان
« محمد أحمد الغمراوى
الدكتور محمد زكي
الأستاذ محمد سعيد العريان
« محمد عبد الله عنان
الدكتور محمد عوض محمد
« محمد فريد أبو حديد
الأستاذ محمود غنيم
« مصطفى صادق الرافعى

فى المرقص

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى

جلست فى ركن أرى منه الناس جميعا وذهبت أنتظر صديق. والانتظار ثقيل ولكنه هنا مما يهون أمره، فقد كان اليوم يوم أحد، وكان المكان غاصا بالفتيات الجميلات، وكانت الموسيق لا تكف عن العزف، فالرقص لا ينقطع وحركته لا تفتر، ولا يزال الشبان ينهضون ويتقدمون من الفتيات وينحنون لهن باسمين فترفع الواحدة منهن حاجبيها الدقيقين اللذين يبدوان كأنهما مرسومان وتبتسم وتنهض وبداها على ثوبها لتصلح منه ما أفسده الجلوس. وكان يخيل إلىّ أن كل إنسان هنا يعرف كل إنسان آخر إلا العبد لله، فما كنت أرى وجه من أعرف. وصفقت فجاء خادم سمين أسود الوجه غليظه فقلت: اسقنى شيئا مما عندك، وكان صوتى خافتا وقد زادت الضجة خفوته، فمال الرجل على وهز وجهه الكبير فقلت: «هات أى شىء بارد.. أى شىء.. اذهب» فقد كان يحجب عنى الدنيا

وأدرت عينى فى المرقص فسرتنى المناظر. آه!.. هذه البيضاء ذات الثوب الأرجوانى ما أحلاها.. شعرها ذهبى وخصله الجميلة تهتز تبعا لحركة الرقص وكف زميلها على ظهرها تجعل هيف خصرها واستواء ردفيها أوضح وأوقع فى النفس وأسحر للعين، وقد دارا الآن فأنا أرى كيف تمنح صاحبها صدرها.. إن صدرها ليس على صدره.. كلا.. ثديها الأيسر وحده هو الذى أراه على صدره.. ما أحلى هذا! ليتنى كنت مكانه! وأحلى ما فيها إشراق وجهها النضر.. إنها مسرورة تضحك وتثنى رأسها راضية مغتبطة، فليت شعرى ماذا يقول لها هذا الشاب الحاذق؟..

واختفيا عن عينى وحجبهما غيرهما من الراقصين والراقصات. آه.. هذه أيضا حسناء ولا شك.. ثوبها فيما يبدو لى قديم.. ووجهها باهت اللون.. والأبيض كثير.. ولكن معارفها حسنة وعينها واسعة حوراء.. أم ترى هذا فعل الكحل؟.. لا أظن. ولكن صاحبها لا يدنيها من صدره وإنى لأرى بينهما مقدار شبر.. ولا يحادثها ولا يهمس فى أذنها بكلمة.. فهما يدوران فى صمت.. خسارة.. كنت أحب أن أرى وجهها وهى مسرورة تضحك.. ذهبت الآن على كل حال.. فلننظر إلى غيرها..

وراقنى فرق ما بين الفتيات وهن يرقصن.. هذه واحدة تقف من صاحبها كالسيف.. خط جسمها مستقيم تماما.. وتلك التى تلبس هذا الثوب الأخضر تنأى بساقيها عنه وتلق بصدرها على الفتى، فلو تخلى عنها لكان الأرجح أن تقع على الأرض مكبوبة على وجهها الجميل.. أم ترى هذا ليس إلا وهما؟ ومن يدرى؟.. لعلها تتق أن يغلط مراقصها فيدوس أصابعها الصغيرة فهى لهذا تبعد بساقيها عنه.. ومن يدرى أيضا؟.. فعسى أن تكون غايتها أن تريح صدرها جدا عليه.. وهذه السمينة التى تحرك جسمها الثقيل ببطء.. صاحبها أسمن منها فهما مسكينان.. ألا ترى كيف يمسح عرقه.. ولكن الغريب أنى لا أراها تعرق مثله.. وأحسب أن هذا من فضل الله فلو تصبب عرقها لـثـرّ على المسحوق ورسم خطوطا تجعل وجهها كأن فيه أخاديد.. ولكن لماذا وكيف لا تعرق؟..

وسكتت الآلات وكانت الارجوانية من جيرانى ولكن وجهى كان إلى غير جهتها فلم أستطع أن أديره إليها.. قاتل الله الشعور بالذات.. لماذا لا أنظر إليها؟.. لن أخطفها أو آكلها.. ولا أظن أن نظرى إليها يسوءها كما يسوءها الانصراف عنها كأنما هى لا تستحق نظرة.. وإنها والله لآية.. ولمحت شيئا عظيما إلى يمينى فى مدخل النافذة فالتفت فاذا الخادم الأسود الضخم الجثة فضحكت — فى سرى فما أستطيع أن أقهقه وأنا وحدى فى هذا الحشد — وحدثت نفسى أن الله اختار لى أن يكون هذا الزنجى العظيم زميلى فى ليلتى هذه وأنيسى فى وحدتى.. وحولت وجهى عنه مستعيذا بالله، ونظرت فى الساعة ورجوت أن يحضر صاحبى فيزيل هذه الوحشة وينحى عنى هذه الغمة الحالكة السواد.. ولكن صاحبى لم يجىء فلا بد أن أعتمد على نفسى فالتفت إليه وطلبت شيئا لأصرفه عن مكانه فذهب وسعنى أن أجيل عينى مرة أخرى فى الجلوس فرأيت فتاة فى ثوب داكن الحمرة ذى شقين وفى أذنها قرط هو حبة كبيرة من اللؤلؤ.. المزيف بالطبع.. وهى سمراء فلعلها مصرية.. أعنى لا عبرانية ولا أوروبية.. وشغلنى من أمرها أنى لا أستطيع أن أتبيّن أهى بدينة أم نحيفة..

وتعجبت لهذا . . ولكن المائدة أمامها وهى متكئة عليها بذراعيها فالبادى منها هو صدرها مضموما . . ووددت أن تقف . . أعنى أن يدعوها أحد إلى الرقص . . ولكنى لاحظت أنها لا ترقص أبدا . . ولم أر واحدا من هؤلاء الشبان دنا منها وانحنى لها أو ابتسم أو أشار أو فعل غير ذلك مما تدعى به الفتاة إلى الرقص . . فهل هم يعرفون أنها لا ترقص ؟ . هى مثلى إذا . . ولكنى مهيض الساق فهل تراها . . ؟ لا لا . . إنى رجل ، فلا بأس ولا ضير على من كسر يصيب ساقى ولكنها تكون مسكينة حقا إذا كان الله قد امتحنها بمثل ما امتحننى به . . أعوذ بالله . . كلا . . لا أظن . . وشاء حسن الحظ أن تقوم الفتاة فى تلك اللحظة وأن تقبل على جيرانى فإذا قدها سخيف جدا فانصرفت عنها وحمدت الله الذى أبى أن يشغلنى بها عن الجميلات . .

وأطفئت الأنوار وبقيت بضعة مصابيح حمراء وخضراء وعزفت الموسيقى لرقصة التانجو فقلت هذا أحسن وأمتع . . واذا بشاب أسود وعلى عينيه نظارة يقترب من الفتاة الهيفاء ذات الثوب الارجوانى ويهز لها رأسه فتنهض مرتاحة مسرورة يا أخى ! . . أما ان هذا لغريب ! . . من أين عرفها ؟ . . بل من أين جاء ؟ فقد درت بعينى فى المكان كله ولم أدع ركنا أو زاوية الا حدقت فيها ؛ ولست أعمى ولا قصير النظر وان كنت أحمق قليل العقل . . وهززت رأسى مستغربا . . وقلت لنفسى لولا ان الله ابتلانى بساق لاخير فيها أما كنت انهض انا أيضاً لأراقص هذه البنت الجميلة ؟ . . وزاد عجبى أنى رأيته يحسن الرقص وأنها فرحة به ومقبلة عليه . ورنت ضحكتها الفضية فقلت لنفسى يا ملعون ! . وظريف أيضا ؟ . . اذن أنت تستحق هذه النعمة التى كنت أظنك غير جدير بها . وقد وهبتكها فليس أحق بها منك ! . .

وكانت أصابعى تعبث بعلبة الكبريت وتحركها على صوت الموسيقى أراعى الراقصين ولا يفوتنى ان أنقد حركاتهم اذا كان قد فاتنى ان أشاركهم فجعلت أقول لنفسى . . لا . . هذه الميلة ليست حسنة ولا رشيقة . . كان ينبغى أن يكون الانحراف فيها أقل . . هذا الأحمق يجب أن ينزل بكفه الغليظة الى الخصر . . ماذا يظن أنه يصنع ؟ . . ألا يرى أن الفتاة تميل الى الوراء فكيف يبقى كفه على طرف الكتف ؟ . أما انه لمجنون . . وهذا الأبكم ألا يجد كلاما يقوله لصاحبته فيشيع البشر فى محياها ؟ . . لماذا يدعها كأنما صب وجهها فى قالب ؟ . . فى أى شىء غيرها يفكر هذا الأبله ؟ . . أما لو كنت أنا مكانه ؟ . . اذن لأريته . . ولكنى مع الأسف قاعد أنظر ولا أرقص . وقد خدرت ساقى من طول ما تركتها على أختها فلأرحها قليلا

وأنزلت ساقى والتفت وأنا أعتدل فى مجلسى فاذا الزنجى الضخم واقف الى جانبى ، فقلت يالها من ليلة سوداء ! . ماله لا يتحول عن هذه النافذة ؟ . . وخطر لى أنه يتوهم أنى قد أهرب منها فإنها تؤدى الى شرفة تنتهى من آخرها الى السلم ، فقلت أعطيه القروش التى لا يستحقها وأريحه وأستريح فقد طلبت شيئا باردا فجاءنى بشاى سخن . وأحسب انه لم يسمع أو لعله ظن الشىء شايا . . فما أذكاه ! . . وبدا لى أنى أظلمه فليس ذنبه انه أسود وان جثته ضخمة وان شكله بغيض . ثم ان له حقا فى الوقوف حيث يشاء مادام لا يزحم المكان ؛ وأين بالله يقف الا فى مدخل باب أو نافذة استعدادا لتلبية الطلبات ؟ فلندعه على كل حال .

وأردت أن أنهض وأنصرف فقد تأخر صديقى جدا ولم يعد من المنتظر أن يحضر ، ولكنى استحييت أن أمشى أمام هؤلاء الفتيات الجميلات وضننت بهن أن أعكر عليهن صفوهن برؤية رجل أعرج يظلع أمامهن ، وقلت أنتظر حتى يستأنفن الرقص ويشغلن به عنى . ولست أستحى من العرج الذى منيت به فما فيه ما يدعو الى الخجل ، لكنى أكره الفضول وأستثقل من الناس أن يديموا النظر الى رجلى كأنها شىء غريب جدا . وما ركبت الترام قط الا ضايقنى الناس بهذا الفضول . وما أكثر ما رأيتهم يتحدثون ويشيرون الى ساقى غير عابئين بشعورى . ولهذا رأيت أن أتخذ سيارة لأريح نفسى من هذا الفضول

وودعت الخادم الغليظ وتحريت أن أرضيه فقد ظلمته وان كان هو لا يدرى ولا يعرف ماكان يدور فى نفسى كلما وقف الى جانبى . وخرجت مترنحا ـ لا من السكر فما شربت الا ماء فقد تركت الشاى ـ وانما كنت أترنح لأن رأسى كان يدور . ولى العذر فقد يحتمل المرء واحدة جميلة ولكن من العسير أن يحتمل فتنة كل هذا الجمال الراقص

ابراهيم عبد القادر المازنى

حافظ ابراهيم شاعر الفخامة

للأستاذ كرم ملحم كرم

حافظ العسكري اقتدى بالبارودي العسكري
فجاء شعره قوياً كالأمر دقيقاً كالنظام

ظهر الشعر ضعيفاً في مطلع عهد الانبعاث . فكأنه ليس بالشعر ، إن هو إلاّ كلمات مرصوفة بعجز ، لا تدل على معنى سامٍ ولا تزخر بالقوة . وكأن أولئك النظّامين يجهلون حسن الصياغة ، فنفحونا بشعر مائع في معناه ومبناه . وكل ما رموا فيه إلى الاقتداء بالأقدمين . لا في سبكهم الشعر بل في مواقعهم من ولاة الأمر . فعلموا أن الأخطل كان يمدح معاوية ويزيد ويتمتع برحابة عبد الملك ، وأن أبا نواس مدح الرشيد والأمين ، وأن المتنبي تغنى بمآثر سيف الدولة ، إذاً عليهم أن يمتدحوا الحكام والولاة . عرفوا أن الشعر يبدأ بالغزل وينتهي إلى المدح ، فنهجوا هذا النهج اندفاعاً وراء البحتري والمتنبي ومهيار الديلمي ومن جرى مجراهم من شعراء العصر العباسي الأخير

وطالعوا في صفي الدين الحلّي الطباق والجناس وتسخير المعنى للألفاظ ، فقلدوا صفي الدين فيما أنشدوا من شعر ، وما نظموا من قصائد خالية في معظمها من روعة البيان والابتكار

بلى ، لقد حاول الشيخ ناصيف اليازجي الخروج عن هذه الدائرة ، إلا أنه لم يكن ابن نفسه في معظم ما أنشد . فهو مدين للمتنبي في أكثر قصائده مع كونه شاعراً ، على أن الشاعرية لا تني التقليد

وأول من برز من الشعراء الأقحاح بعد الشيخ ناصيف اليازجي هو محمود سامي البارودي ، فجمع بين حسن الصياغة والمعنى . وإن يكن هذا المعنى غير مبسوط أحياناً ينحصر في نطاق معلوم ، فهو خير ما جاد به علينا مطلع عصر الانبعاث . وتكفي تلك الصياغة المشرقة التي اهتدى إليها البارودي ونبذ بها الركاكة الشائعة يومذاك ليكون لهذا الشاعر فضل عميم على القريض . فالشعر العربي نهض بالاستناد الى البارودي نهضة نشاهد آثارها في شعراء اليوم . وقد تكون نهضته نهضة ألفاظ أكثر منها نهضة معان . على أن نهضة الألفاظ هذه صقلت الشعر ، ونفت عنه الاضطراب ، وقادته في طريق سويّ انتهى به إلى شعر المعاني الأنيق ، البرّاق الظاهر ، الخالي من كل وهن وعيب سواء في لغته أو تركيبه

وحافظ ابراهيم اقتدى بالبارودي في حسن صياغته . فعمد الى الشعر العالي النفس . المتين القالب ، يشد به نفثاته . وكأنما ونحن نقرأه نسمع الفرزدق أو بشاراً ، على ان هذا الشعر لم يكن موفقاً في معظم الأحيان بمعانيه مثله بألفاظه

فهناك ألفاظ مختارة تعيد الى الاذهان عصر الجاهلية وما تلاه من أعصر أشرق فيها الأدب العربي وأزهر . ولا نكير أن الشعر في الجاهلية وصدر الاسلام والأعصر العباسية كان أشد خصباً في المعاني من شعر الانبعاث في مستهله ، بيد أن النهضة لا تعتمد على الطفرة في مسيرها بل تمشي وئيداً الى هدفها الأعلى . ولا بد في مطلع كل نهضة أدبية من هزة لفظية تجتاح القوالب الرثة لتقيم الأدب الجديد على ركن لغوي سليم

والهزة اللفظية بدأها اليازجي الكبير والشدياق ونقلها الى مصر اليازجي الأمين ؛ فلا عجب اذا اعتمدها البارودي في بيانه وتلاه حافظ ابراهيم . وحافظ تأثر بالبارودي في شعره ومسلكه ، وطمع في أن يرتقي يوماً الى مستوى هذا الشاعر العسكري . فالبارودي تربع في مقعد الوزارة ، وحافظ شاقه أن يجلس يوماً في هذا المقعد وان يبلغ شأن زميله . وهو لما كان يرتدي ثوب ضابط في السودان ما انفك عن التودد الى الشيخ محمد عبده . وكل قصده أن يمهد الشيخ له السبيل الى الوزارة أو الى منصب سام في الجيش . بيد أنه لم يقع منه على ضالته . فالشيخ كان يتناول رسائل حافظ ويطويها دون أن يكترث كل الاكتراث لهذا الضابط الوافر الآمال ، العاقد عليه رجاءه . فيئس حافظ أو كاد ، ودعا اخوانه الى التمرد على الأوامر العليا ، ومال عن الجيش الى الاشتغال بالأدب في مصر . ومع كل مالقي من فتور الشيخ محمد عبده ظل له على وفاء وولاء . وانتابته الفاقة وهو يرقب انصاف الشيخ له وما تولى عمن تولى عنه .

* * *

وكان ميدان الأدب يضيق بالفرسان . فهناك شوقي ومطران وولي الدين واحمد محرم والمنفلوطي . وظهر شوقي في القمة يزاحمه

عليها خليل مطران . على ان حافظاً لم يدركه اليأس . فدفع فى الحلبة جواده يبغى الوصول الى القمة شأن شوقى نفسه . على أن ما توفر لشوقى لم يتوفر له . فقد ملك شوقى المال والثقافة معاً . فكان واسع الاطلاع ، ناعم البال ، يعلم حق العلم ان عيشه مضمون فى حاضره وفى غده . على حين ان حافظاً فقد أمله فى الحاضر والمستقبل . فكافح الشقاء ، غير أن الشقاء أقوى منه . ونظر الى آتيه واذا الآتى يبدو مبهماً ان لم يبد فاحماً أسود

فى هذه البيئة المضطربة عاش حافظ بين الافلاس والشقاء والأمل الطعين . فلا يسعفه من اعتمد عليهم ولا ينجده دهره . ولم يبق لديه سوى بيانه . على أن البيان لم يوفر له العيش الرغيد مع كل ما فطر عليه من حسن المخالقة وحلو الحديث ونبل النفس ؛ فلم يكن حافظ ممن يتسفلون الى استجداء اللقمة ، بل كان يجتهد ما استطاع فى صون كرامته وهو الرجل العسكرى الشديد الحرص على شرفه وواجبه

ولمعت قصائد حافظ الأولى . وقام الناس يقارنون بينه وبين شوقى . فأدرك حافظ أنه بلغ القمة التى يصبو إليها ، وأن الحجر العثرة فى الطريق هو شوقى دون سواه ، فان هو ذلل هذه العقبة هان عليه كل عسير ونال المشتهى . فليس أمامه غير هذا الخصم وعليه ألا ينام عنه ، ومما كان يؤلمه أن يلمع شوقى لدى الخديو عباس وأن يؤثره عزيز مصر على الأدباء أجمعين ، فلماذا يكون شوقى فى تلك المرتبة السامية ولا يترقى هو (حافظ) إلى المكانة نفسها ! . ولقد كان يطمع فى مكانة أسمى ، فشاء أن يكون شاعر الخليفة العثمانى وأن يتفوق على شوقى فى أدبه ومنزلته إلا أن الأقدار لم تضمن له ما يرجو .

فنقم على دهره وأبى أن يناصر مذهب شوقى السياسى فدرج على خطى محمد عبده خصم الخديو ، ونفخ فى بوق الوطنية فكانت قصائده تلهب الحماسة فى النفوس فيصفق لها العرب بأجمعهم لكون القوة تتجلى فيها . وغار منه شوقى فنسج على منواله فى رثاء مصطفى كامل وفى سقوط أدرنه وفى سقوط عبد الحميد . فكل مأثرة وطنية كانت تجد لها صدى فى قريحة الشاعرين ، إلا أن صداها فى منظوم حافظ أكثر صدقاً منه فى منظوم شوقى . فلم يكن منى شوقى إلا أن يتغلب على هذا المزاحم الوثاب . وكيف يزاحمه بسوى إطلاق بلاغته وبيانه ؟

والزحام كان جليل الفائدة . فالشاعران جالا فيه على ما يتسع لهما المدى . فبذلا كل ما يملكان من موهبة . وكان حافظ يتفوق حيناً وحيناً شوقى . وأحياناً كانا يتساويان . إلا أن ثقافة شوقى ساعدته فى استنزال المعانى أكثر مما توفر الأمر لحافظ . ولسنا ننفى عن حافظ اصطياد هذه المعانى المبتكرة ، إلا أنه لم يكن موفور التوليد فيها . فاللفظ وحسن الصياغة كانا يشغلانه عن المعنى . وهو لو كان يجيد لغة أجنبية ، لو اطلع على أدب الغرب مثله على أدب العرب لبات أوسع خيالا وأشد عمقاً فى منظومه ، إلا أن جهله اللغات الأجنبية(١) وقف به عند الأدب العربى ، فما تفتحت عيناه على آفاق بعيدة يخلو منها أدبنا القديم . فكان يجتهد فى الاقتداء ببشار وبالمتنبى فى صياغتهما . ويميل عن كل أسفاف فى المبنى . وهذا المجهود من حافظ فى إنقاذ آثاره من الضعف اللغوى أهاب بشوقى إلى الانعكاف على درس اللغة ليدفع عن قصائده هذا الشين

وإن يكن لابد من المقارنة بين شاعرين عاشا فى عصر واحد واندفعا فى طريق يكاد يكون واجدا فى ما نظما وأطلقا من خواطرهما قلنا إن شوقى يتقدم حافظا فى معانيه وموسيقى ألفاظه . فيحلق فى جو أسمى من جو حافظ ، فكأنه يملك جناحين أوفى انبساطا ، وأشد عزماً . كأنه كتلة من أعصاب تأبى إلا أن تندفع إلى الأعالى تقع فيها على كل جديد ، فترى وتلمس مالا يتفق لسوى من ملك قوتها فى اقتحام مسبح الفلك . وحسب شوقى أن يرصع صدر الملعب العربى بتلك الروايات التمثيلية . فشاء بها أن يضارع كبار شعراء العالم أمثال شكسبير وكورناى وراسين وفولتير وفكتور هيغو . فما « مجنون ليلى » غير « روميو وجوليت » لشكسبير ، وما « كليوباترة » غير « أندروماك » لراسين

وحافظ لم يخترق هذا الجو . فاكتفى بالديباجة الفخمة ، بعظمة الجند ، بالشارات العسكرية البراقة . فأنت تحس وأنت تقرأه بأنك أمام شاعر يتقلد سيفاً ويعلن أمراً . فلا محاباة ولا مصانعة ، بل قوة جياشة تدعوك إلى الإصغاء بكلام طنان ثابت فى مواضعه كأنه صُب فيها صبا . والأوامر العسكرية معروفة لا زخرف فيها ولا طلاء بل فخامة وقوة . وهذه الأوامر غلبت على شعر حافظ كما غلبت على شعر البارودى فمالت بهما عن

(١) الصحيح أن حافظا كان ملما باللغة الفرنسية وعنها ترجم البؤساء بتصرف. (الرسالة)

التغريد المتعالى من شعر شوقى والخيال المغلف به منظوم شاعر الأمير

إذاً شوقى هو المتفوق . وشوقى روح عصر الانبعاث فى مطلع القرن العشرين . فهو مرآة الشعر فى هذا الزمن . ومن ينظر فى نتاج قرائح شعراء اليوم يقبل على شوقى فى الطليعة ومن المحال أن ننسى خليل مطران . على أن المفاضلة تتناول فى فى مبحثنا حافظاً وشوقى دون سواهما . وحافظ لم يكن خصباً كشوقى ولا متفنناً مثله . وإذا قيل إن شوقى أغار على الأقدمين فليس ينجو حافظ من التهمة . هـذا عارض من سبقوه وذاك عارض من سبقوه ، إلا أن أبواب الغزو لدى شوقى المطّلع على الأدب العربى والغربى معاً أكثر منها لدى شاعر النيل . وهذا سرٌّ من أسرار تفوّق الأول ووقوف الآخر دونه فى الطريق

ومما نشاهد أن عطف الناس على حافظ أقوى منه على شوقى . فإن لحافظ فى القلوب منزلة لم يبلغها شاعر الأمير . فكل من وقف على بؤس حافظ وإخفاقه فى أمانيه وعزة نفسه مال إليه متأثراً وتألم لألمه . والبائس يجد حوله ذوى الرفق ، على حين أن القرير العين يصطدم أبداً بالناقمين الكارهين . وهذا هو موقف الشاعرين من أبناء اللغة العربية . أحبوا حافظاً لبؤسه وخفقت فى صدورهم محبة شوقى لغناه . على أنهم إذا جاءوا يفاضلون بين الشاعرين آثروا شوقى على حافظ دون ما تردد . وتلك العاطفة الروحية لا بدَّ لها أن تتلاشى على مر الأيام ، يوم يفنى هذا الجيل ويبيت أبناء الغد حيال أدب شاعرين يعتمدون فى تحليل آثارهما على نور الحقيقة لا على نبضات القلوب

وهذا الإيثار لا يحطّ من قدر حافظ . فهو من أقطاب الشعر فى هذا العصر . وإذا استثنينا شوقى ومطران قلنا إن البلاد العربية لم تنجب حتى الآن من أمثاله . ويسرنا أن تدرك أخيراً مصر قدره وتقيم له المهرجان تلو المهرجان . وكنا نود أن يلقى هـذا التكريم وهو فى قيد الحياة . فكان بحاجة إلى التقدير بعد كل ما عانى من بؤس وخيبة .

والتقدير لا يكفى إذا تهاون المصريون فى أمر ضريح الشاعر ، فان لرفات هذا الشاعر الجندى المتوقد القريحة شأناً تاريخياً من حق مصر أن تعتز به . فلن يقوم فى كل يوم فيها شاعر كحافظ ابراهيم .

ولقد أثبتت الأقطار العربية الأخرى انها تحترم حافظاً وتنحنى أمام أدبه العالى . فأوفدت ممثليها للاحتفال بذكراه والتغنى بمحامده . ولا ريب ان الملوك أنفسهم يشتهون أن ينالوا ما يتمتع به الشعراء بعد موتهم من خلود وتكريم . فالمتنبى والفردوسى لقيا من يحتفل بمرور ألف عام على موتهما . مع أن هذا التقدير العالى لم ينل مثله كسرى ولا هرون الرشيد . وأين الفردوسى والمتنبى من كسرى وهرون الرشيد فى إبان حياتهما ! . ولكن الأدب أبقى من العروش ، والشاعر أبعد خلوداً من الملوك ، وحافظ من هؤلاء الخالدين . ومن الراهن أن مصر تنسى المئات من أرباب التيجان الذين توالوا ويتوالون عليها ، ولا تنسى حافظا وشوقى والبارودى وصبرى وولى الدين ، وفى ذلك الدليل كل الدليل على أن الأدب وهو وليد النفوس ، أوطد أثراً فى قلب الدهر من التيجان والصوالجة ، وأن الأديب الأديب يرسخ فى أذهان الأجيال المقبلة رسوخاً لا يحلم به غير من دوخوا الأرض من أمثال الإسكندر ، ويوليوس قيصر ، وعمرو بن العاص ، ونابليون العظيم ! ...

(بيروت)

كرم ملحم كرم
صاحب جريدة « العاصفة »

من أدب التاريخ

قصة غرام فاطمية

موضوع مسرحية بديعة

للأستاذ محمد عبد الله عنان

تقدم إلينا صحف القصور الإسلامية طائفة من القصص الغرامية الشائقة التي امتزجت بسير الخلفاء أو السلاطين؛ بيد أن هذه القصص المشرقية بالرغم من ألوانها المشجية المؤسية أحياناً لا تحمل دائماً ذلك الطابع الروائي العنيف الذي يبدو في قصص الحب في القصور الغربية؛ ويرجع ذلك أولا إلى روح العصور، وثانيا إلى تباين الخلال والنظم الاجتماعية؛ ففي القصور الإسلامية كان يغلب دائماً ذلك التحفظ الذي يسبغ ستار الصمت والكتمان على حوادث وسير لا تحمد إذاعتها وتتقى آثارها بين الكافة؛ وكان نظام التسري الذي يعمر قصور الخلفاء والسلاطين بأسراب الجواري الحسان من مختلف الأمم والأجناس يحول دون اضطرام هذه العواطف والنزعات العنيفة التي كثيراً ما تضطرم في قصور الغرب، وتحمل في طريقها عروشاً أو تؤثر في مصاير أمم ومجتمعات؛ ومن النادر أن نرى في التاريخ الاسلامي جارية أو خليلة، حظية خليفة أو سلطان، تسيطر على أقدار الدولة ومصايرها بمثل ما كانت تسيطر غانية مثل بومبادور أو دوباري على أقدار فرنسا في عهد لويس الخامس عشر، أو نرى ملكا وأمبراطورا عظيما كادوارد الثامن يهجر أعظم عروش الأرض وأجلها قدراً في سبيل حب ليس فيه من الروعة والجمال ما يتناسب مع روعة التضحية التي أقدم عليها

بيد أننا نظفر في صحف القصور الاسلامية مع ذلك ببعض السير الغرامية العجيبة التي تطبعها ألوان روائية تذكي الخيال إلى الذروة. ولولا أن الرواية الاسلامية تحجم في كثير من الأحيان عن الافاضة في تلك السير الشائقة، وتكتفي بايراد الروايات الموجزة عنها لكان منها تراث روائي ساحر لا يقل في روعته وجماله وتباينه عما تقدمه إلينا قصص الحب الغربية الشائقة

مثال ذلك قصة الخليفة الفاطمي الآمر باحكام الله وحبيبته البدوية فهي في الواقع نموذج ساحر من ذلك القصص الغرامي الذي يصلح بموضوعه ومناظره وألوانه موضوعا لمسرحيات من الطراز الأول في سحرها وروعتها

ولي الآمر بأحكام الله الخلافة وهو طفل في نحو السادسة من عمره سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) رفعه إليها أمير الجيوش الأفضل شاهنشاه وزير أبيه الخليفة المستعلي، وجده المستنصر من قبل، والمتغلب على الدولة، والمستأثر بسلطانها؛ ونشأ الآمر في كنف هذا الوزير الطاغية، كما ينشأ جميع الأمراء الذين ليس لهم من الملك غير رسومه ومظاهره، محجوبا في قصره، مغمورا بأنواع الملاهي والمسرات؛ بيد أنه نشأ مع ذلك طموحا ينزع إلى السلطان والبطش فلما بلغ أشده، وشعر بوطأة المتغلب عليه أخذ يتربص به حتى استطاع أن يدبر مصرعه، وقتل الأفضل سنة ٥١٥ هـ؛ وتولى مكانه المأمون البطائحي؛ وقبض مثل سلفه على السلطة بقوة وحزم، فلم يلبث أن لقى نفس مصيره، فقتل في سنة ٥١٩ هـ، واستأثر الآمر عندئذ بكل سلطة، وأطلق العنان لأهوائه وإسرافه وبذخه؛ وكان الآمر أميرا مرحا، مضطرم النفس والأهواء، مشغوفا بحياة اللهو والطرب، وافر السخاء والبذل، يعشق البذخ الطائل؛ وكان يهيم بالجواري والحسان، لا يطيق الحياة دون حب وهوى، وكان يشغف بفتيات البادية بنوع خاص، وله مع إحداهن قصة غرام مؤثرة، تنقلها إلينا الرواية في ألوان ساحرة، فكأنما تقرأ فيها كما تذكر الرواية ذاتها فصلا من فصول ألف ليلة وليلة، أو ما يشابهها من القصص العجيب المغرق

كان الآمر يهيم كما قلنا بفتيات البادية، ويرسل في أثرهن رسله وعيونه، يجوبون البوادي والنجوع، ويبحثون عن روائع الجمال الساذج في ثنايا الخيام وفي مهاد البداوة النقية؛ فنقل إليه بعضهم أنه عثر ببعض أحياء الصعيد بجارية عربية هي مثال رائع للجمال العربي آية في الحسن والرشاقة والظرف، أديبة شاعرة، وافرة الذكاء والسحر؛ وإلى هنا تبقى القصة عادية ليس فيها ما يثير الدهشة؛ بيد أن الرواية تجنح بعدئذ إلى نوع من القصص الرائع، فتقول لنا إن الخليفة الآمر لما سمع بخبر هذه الفتاة البارعة في الحسن وفي الجمال، أراد أن يراها بنفسه قبل أن يتخذ في شأنها أي إجراء، فتزيا بزي الأعراب وغادر قصره بالقاهرة، وسار إلى الصعيد، وأخذ يتجول بين الاحياء حتى وقف على

حبها واستطاع أن يتصل بأهلها دون أن يعرفوه وأن يظفر برؤيتها وتأمل محاسنها ؛ فما أن رآها حتى اضطرمت جوانحه بحبها ، وأسرع بالعودة إلى القاهرة وقرر فى الحال أن يخطب هذه الفتاة التى تيمته حبا ، وأن يتزوج بها ؛ وبعث الآمر إلى أهل الفتاة برغبته ، فبادروا إلى تحقيقها فرحين مغتبطين ، وأرسلوا بالفتاة إلى القاهرة ، حيث حملت إلى القصر ، وغدت فى الحال زوجة للخليفة ، وسيدة البلاط الفاطمى

وإلى هنا ينتهى أول فصل فى القصة ، وهو فصل لا تنقصه عناصر الخيال الممتع ؛ ثم إن فتاة البادية العالية - وكان هذا اسمها - بعد أن سكنت إلى حياة القصر الباذخة حينا ، وأفاقت من دهشتها الأولى ، أخذت تشعر بثقل هذه الحياة الناعمة على ما فيها من متاع ونعماء وترف مستمرة ، وتبدو لها جدران القصر العالية ، وأبهاؤه الفخمة كأنها ظلام السجن ، وأخذت تحن إلى فضاء القفر الشاسع وهوائه النقى الساذج كما تحن الطيور فى أقفاصها إلى فضاء السماء ، أو كما تحن الأسود المعتقلة إلى أحراجها وأدغالها ، رغم ما تتمتع به فى سجنها من وافر العناية ؛ فلما رأى الخليفة الآمر ما أصاب حبيبته من الاكتئاب والوحشة ، دفعه الخيال إلى أن يلتمس لها متعة الفضاء التى تنشد على طريقته الملوكية ، فأمر أن تقام لها على النيل فى جزيرة الفسطاط (الروضة) متنزها عظيما يضم بستانا ساحرا وأجنحة ملوكية بديعة ، وسمى هذا المنتزه الرائع الذى لبث مدى حين من محاسن الدولة الفاطمية « بالهودج » ، فكان للتسمية مغزاها فى التشبيه بالهودج الذى هو خباء السفر فى البادية ؛ وأنس روح البدوية الهائم مدى حين إلى الرياضة فى « الهودج » ، والتمتع بمناظره الرائعة ونسماته العليلة بيد أنها لم تنس قط وهج القفر وسحر الفلاة

واليك فصلا ممتعا آخر من تلك القصة الغرامية الرفيعة . لقد ظفرت « العالية » بغزو قلب صاحب الخلافة والعرش ، وغدت سيدة القصر والبلاط ، ولكن ذلك لم يكن منتهى آمالها وسعادتها ؛ ذلك لأن قلبها البدوى المضطرم كان يخفق منذ أيام البادية بهوى فتى من بنى عمومتها يدعى ابن مياح . ربيت معه فى الحى منذ الطفولة ، وكان فتى رقيق الخلال وافر السحر ، فلما حملت الى قصر الخليفة لم تخمد فى قلبها جذوة حبه ، ولبثت فى قصرها تتجه بخيالها اليه : وفى ذات يوم هزها الشوق اليه ، فبعثت اليه من قصر الخليفة بهذه الأبيات

يا ابن مياح اليك المشتكى ... مالكٌ من بعدكم قد مُلكا
كنت فى حى مطاعا آمرا ... نائلا ما شئت منكم مدركا
فانا الآن بقصر موصد ... لا أرى إلا حبيبا ممسكا
كم تثنينا باغصان اللوا ... حيث لا نخشى علينا دركا
وتلاعبنا برملات الحمى ... حيثما شاء طليق سلكا

تقول الرواية ، فأجابها ابن مياح بهذه الأبيات

بنت عمي والتى غذيتها ... بالهوى حتى علا واحتبكا
بحت بالشكوى وعندى ضعفها ... لو غدا ينفع فيها المشتكى
مالك الامر اليه يشتكى ... هالك وهو الذى قد هلكا
شأن داود غدا فى عصرنا ... مبديا بالتيه ما قد ملكا

ثم تقول الرواية : ووقف الخليفة الآمر على سر هذه المراسلة وقرأ أبيات ابن مياح ، فقال لو انه لم يسىء اليه فى البيت الرابع لرد الجارية الى حبه وزوجها منه

وأثارت هذه القصة نفس شاعر معاصر من بنى طيء يدعى طراد بن مهلهل ، فنظم أبياتا ينحى فيها على الآمر باللائمة ويخاطبه بما يأتى :

ألا بلغوا الآمر المصطفى ... مقال طراد ونعم المقال
قطعت الأليفين عن ألفة ... بها سحر الحى بين الرجال
كذا كان آباؤك الأقدمون ؟ ... سألت فقل لى جواب السؤال

فغضب الآمر حينما وقف على هذا الشعر ، وقال جواب السائل قطع لسانه على فضوله ؛ وبعث في طلب طراد فى احياء العرب ، ففر منه واختفى

ولبث الآمر بعد ذلك أعواما : يطلق العنان لأهوائه ، وينعم إلى جانب حبيبته العالية ، ويتردد معها إلى منتزه الهودج . وكان الآمر يثير سخط فريق من الزعماء ورجال الدولة بما جنح إليه من تمكين النصارى من مناصب الثقة والنفوذ . وما كان يمعن فيه من اللهو والبذخ والاستهتار بالرسوم والتقاليد ، ففى ذات يوم من أيام ذى القعدة سنة ٥٢٤ هـ (١١٣٠م) ركب من القصر كعادته إلى الهودج للتنزه ، فلما وصل إلى رأس الجسر الموصل إلى الهودج وثب عليه قوم قد كمنوا له ، وأثخنوه طعناً بخناجرهم ، فحمل جريحاً إلى قصر اللؤلؤة على مقربة من مكان الجريمة ، ولكنه لم يلبث أن توفى ، ولم يجاوز الخامسة والثلاثين

وكان الآمر بأحكام الله شاعراً مجيداً ، وله نظم قوى مؤثر فمن نظمه قوله :

دع اللوم عنى لست منى بموثق — فلا بد لى من صدمة المتحقق
وأسق جيادى من فرات ودجلة — واجمع شمل الدين بعد التفرق

تلك هى قصة الآمر بأحكام الله مع حبيبته العالية، وهى قصة تجمع بين حقائق التاريخ ومتاع القصة؛ ولا ريب أن الرواية قد أسبغت عليها حواشى وألواناً خلابة مصدرها الخيال الشائق، بيد أنها تحتفظ مع ذلك بطابعها التاريخى. ولقد عرج كثير من كتاب المسرح عندنا على بعض الوقائع والمآسى التاريخية واتخذوها موضوعا لمسرحياتهم، بيد أنها قلما تتمتع بذلك الطابع الروائى الخلاب الذى تتمتع به قصة الآمر بأحكام الله مع حبيبته العالية، ألم يقف أحدهم بتلك القصة الفاطمية الشائقة التى وقعت بمصر فى ظل خلافة تنثر من حولها آيات الفخامة والبذخ الرائع؟ إن صحف التاريخ الاسلامى تقدم الينا كثيراً من هذا القصص الرقيق المؤثر، فهلا فكر كتاب المسرح فى ورود هذا المنهل الغزير والاقتباس من طرائفه؛ وإن المسرح المصرى ليبدو أروع وأبدع، وأوفر سحرا وفتنة إذا استطاع كتابنا أن يتحفوه ببعض هذه المناظر القومية الشائقة التى تبد فى ألوانها، وفى روعتها وبهائها كثيرا مما ينقلون الينا من تراث المسرح الغربى

محمد عبد الله عنان

حول مجمع اللغة العربية الملكى

هل لمجمع اللغة العربية وضع المصطلحات العلمية؟

للأديب مصطفى زيور

نشرت الأهرام فى عددها الصادر فى السادس من شهر مارس سنة ١٩٣٧ كلمة للكاتب الفاضل اسماعيل مظهر يناقش فيها حديثا مع مندوب الأهرام لعميد كلية الآداب الدكتور طه حسين بك بشأن مجمع اللغة العربية ومهمته التى يجب (فى رأى الأستاذ العميد) ألا يكون منها وضع المصطلحات العلمية. وما كنت لأزج بنفسى فى هذه المناقشات ـ فلست من المضطلعين بعلم اللغة ـ لولا ما تبينته فى كلمة الكاتب الفاضل اسماعيل مظهر من إغفال حقيقة أوليه أخشى أن تكون فاتت أعضاء المجمع المحترمين، بل اليقين أنها فاتتهم لأن موقف المجمع منها يدل على ذلك، فكان فى ذلك الخطر وكان فى ذلك ما دفعنى إلى كتابة هذا.

ساق الكاتب الفاضل اسماعيل مظهر فى كلمته رداً على رأى الأستاذ العميد الحجة الآتيه التى يستهلها بقوله: «إن حضرة الأستاذ العميد يحاول أن يثبت أن لمجامع اللغة طبيعة واحدة لا تختلف باختلاف الشعوب واللغات وظروف الأحوال فمضى يطبق القواعد التى يجرى عليها مجمع اللغة الفرنسى ... كأن الطبيعة والتاريخ لا حساب لهما فى قياس الفارق بين اللغتين وحال الشعبين ...»، إذن فنى رأى الفاضل اسماعيل مظهر أن الظروف الملابسة لمجمع اللغة العربية تختلف عن ظروف المجمع الفرنسى بحيث تجعل مجمع اللغة العربية فى حل من أن يتقيد بمسلك المجمع الفرنسى فى الاحجام عن معالجة وضع المصطلحات العلمية. أما هذا الفارق فى الملابسات فيتلخص فى رأى الكاتب الفاضل فى أنه إذا كان للفرنسى المشتغل بالعلم أن يضع الاصطلاح العلمى دون أن يكون لمجمع اللغة فى بلده إلا أن يسجل الاصطلاح فذلك لأنه ينشأ فى مهده يسمع اللغة الفرنسية الصحيحة ثم هو يدرس بعد ذلك اللغتين اللاتينية واليونانية، فهو إذن قادر على الاشتقاق والنحت وأغلب الظن أن المصطلح الذى يضعه لا غبار عليه، هذا بينما نحن فى مصر لا نسمع فى طفولتنا إلا العامية ولا نحصل من اللغة الفصيحة بعد ذلك فى المعاهد إلا قدراً لا يغنى ولا يمكن المشتغل بالعلم أن يقوم بذلك العمل الفقهى دون مساعدة المجمع. والنتيجة المنطقية من هذا كله فى رأى الكاتب الفاضل كما يقول فى مكان آخر من كلمته «إن طبيعة لغتنا والظرف القائم فينا يجعل من أوليات المهام التى يجب أن يباشرها مجمع اللغة العربية النظر فى وضع المصطلحات العربية الصحيحة».

ولست أريد أن أناقش هنا هذه الحجة والنتيجة المستخلصة منها، لأنه من الواضح أن هذا القياس كله يقوم على زعم اقتنع به الكاتب الفاضل: وهو أنه إذا اجتمع لمجمع لغة ظروف بعينها فعليه أن يقوم بوضع المصطلحات العلمية. وهذا هو ما أنكره

أنكر أن يقوم مجمع لغة مهما يكن وفى أى بلد يكون ومهما تكن الظروف بوضع اصطلاح علمى. ومع احترامى الشديد لأعضاء مجمعنا الموقرين ـ ومنهم من كان لى أستاذا بل ومنهم من تربطنى به صلات هى أوثق من صلة التلميذ بأستاذه ـ فانى لا أخفى أن فى إنكارى هذا إنكاراً لمجموع مجهودهم إزاء المصطلحات العلمية؛ فإن ثمة حقيقة أولية هى من الخطر بحيث لا ينبغى السكوت عليها: لا يختلف اثنان فى أن مهمة مجمع اللغة العربية هى العناية باللغة العربية ـ بصرف النظر الآن عن الطريق التى يسلكها إلى ذلك ـ كما أن مهمة مجمع اللغة الفرنسية هى العناية باللغة الفرنسية، وليس لأحدهما أن يعنى بلغة غير

اللغة المنوط به أمرها . فاذا كان الأمر كذلك فان هناك حقيقة أولية هي أن لغة العلم لغة دولية مستقلة لا شأن لها باللغة العربية ولا شأن لها بغيرها من اللغات ، هذا هو موضوع كلمتي هذه .

تصفح معجما فرنسيا متداولا مثل « لاروس » ثم تصفح معجما انجليزيا متداولا مثل « تشيمبرسز » ثم تصفح معجما ألمانيا متداولا مثل « سكس فيلات » فلن تجد كلمة (كروموسوم) التي تجنى الكاتب الفاضل اسماعيل مظهر على أساتذة كلية العلوم المصرية بأن المجمع أوجد لها لفظا عربيا ، فاذا أردت الآن أن تتصفح معجما علميا مطبوعا في فرنسا أو انجلترا أو ألمانيا أو غيرها من البلاد وجدت كلمة (كروموسوم) هي هيَ يستعملها العالم الفرنسي والانجليزي والألماني على السواء . هل يريدني الكاتب الفاضل أن أعلق على هذه الحقيقة ؟ كروموسوم التي ترجمها مجمع اللغة العربية بكلمة (صبغى) ليست فرنسية ولا ألمانية ولا انجليزية بل ولا يونانية ؛ نعم لا أرسطو ولا معاصروه يعرفونها ، ولا سكان اليونان الحاليون من غير المشتغلين بالعلم يعرفونها . هي ربط تحكمي بين أصلين يونانيين قديمين Xewpa أي لون و Kwpa أي جسم ، ربط لم يكن الداعي إليه كما زعم الكاتب الفاضل عجز لغة واضع الاصطلاح عن إسعافه بلفظ يؤدي المراد . وإلا فقل لي يا سيدي هل عجزت إحدى هذه اللغات الأوربية عن لفظة تقابل لفظة صبغى ؟

يخيل إلى أن القاعدة الأساسية التي قامت عليها حركة اشتقاق المصطلحات العلمية من اليونانية القديمة واللاتينية هي التي فاتنا فهمها في مصر . لم يكن عجز اللغات الأوروبية الحديثة ولكن إرادة التخصيص والتمييز لمعان جديدة بينها وبين الألفاظ المتداولة بعض الصلات هو الدافع إلى خلق ألفاظ إذا كانت أعجمية بالنسبة إلى اللغة العربية فهي كذلك أعجمية بالنسبة لغيرها من اللغات الحية ، لقد فهم هذا اليابان والروس فاتخذ علماؤهم هذه الألفاظ العلمية التي لا صلة للغاتهم بأصولها اليونانية أو اللاتينية واستعملوها كغيرهم من العلماء . إذن فليس في انحدار اللغة الفرنسية أو الانجليزية من اليونانية واللاتينية ، وليس تلقي الطالب الفرنسي هذه اللغات القديمة في المعاهد ما يفسر تعميم استعمال هذه المصطلحات في أوروبا ، فإن شعوب الأرض قاطبة من المغول إلى الصقالبة إلى الجرمان إلى الانجلوسكسون إلى اللاتين جميعها تقول كروموسوم . فهل يراد بعلماء مصر أن ينفردوا عن سكان الأرض طرا ويقولوا صبغى ؟ ألا يفسر لك هذا ياسيدي أن كثيرين من أهل الذكر من العلماء في مصر — كما قلت في كلمتك — لم يكونوا على استعداد للتضحية في سبيل اللغة فضنوا بمجهودهم على المجمع . ألا ترى أنهم تبينوا أنه تطلب منهم التضحية من حيث لا محل للتضحية لا للغة ولا لغير اللغة .

قلت لا بد أن هذه الحقيقة الأولية حقيقة وحدة لغة العلم قد فاتت أعضاء مجمع اللغة العربية المحترمين ، فذهبوا يترجمون لا من الفرنسية ولا الانجليزية بل من لغة العلم إلى العربية ! فاذا كان الباعث الرئيسي الذي دفعهم إلى ذلك هو إرادة استبعاد ما سموه بالألفاظ الأعجمية واستبدالها بألفاظ تسيغها عبقرية اللغة العربية فهم لا شك لن يستثنوا من عملية « التطهير » هذه لفظاً دون غيره .

فاذا كان الأمر كذلك وقد ترجموا كروموسوم بصبغى فقد بقي لدينا عدة مصطلحات أخرى كلها مشتقة من الأصل اليوناني Xewpa فلدينا مثلا (كروماتين) وهي كما يعرف الكاتب الفاضل اسماعيل مظهر تلك المادة ذات التلوين القاعدي غالباً الموجودة داخل نواة الخلية ؛ ثم لدينا (كروم) وهو المعدن المعروف بباهر لون مركباته ، ثم لدينا (كروما) وهي وحدة إدراك الألوان في البصريات لا أجهل أن عبقرية أعضاء المجمع المحترمين لن يعوزها ترجمة كروماتين ولكن ما القول في الكروم . أيترجم هذا أيضا وهو اسم علم لمعدن لم يعرفه العرب ؟ إذن يجب ترجمة البلاتين ثم الراديوم والمزوتوريوم إلى آخر سلسلة المعادن ذات الأشعاع ، وكذلك الكلور والبروم واليود والبور الخ . ولكن هذه الكيمياء اللعينة لها مشكلة أدهى وأمر هي المركبات العضوية التي يتألف اسم الواحدة منها من خمسة أصول يونانية أو أكثر كل منها يدل على وظيفة كيميائية يجب ذكرها ، ولكني أترك الكيمياء لحظة حتى ننتهي من هذا الحوار حول ترجمة المصطلحات المختلفة المشتقة من الأصل اليوناني Xcwpa ، ذكرت لك أن وحدة الألوان هي كروما ، فهل ينبغي تمشياً مع عملية التطهير ترجمة هذه الوحدة أيضا كما ترجم بعض أعضاء المجمع المتر والياردة ؟ ! واذا كان الأمر كذلك فانه ينبغي أن نترجم الوحدات الفيزيقية الأخرى مثل (دين) و (ديوبترى) ثم (فلت) و(امبير) و (وات) الخ ، ولكن مهلا ! انك تعرف ياسيدي أن هذه الوحدات الأخيرة هي أسماء لعلماء كانت حياتهم وقفاً على خير الانسانية ، فاراد القوم أن يخلدوهم بتسجيل أسمائهم وحدات عالمية . ولا أخالك تجهل أن أحداً من المشتغلين بالعلم والعارفين فضل هؤلاء العلماء لن يقبل أن يسمع حتى الجدال حول ترجمة هذه الوحدات ، بل أثق ولا أشك أنك تثق معي أنه مهما شرع المجمع ومهما صدرت القوانين الصارمة بتحريم استعمال هذه الالفاظ « الأعجمية » فسيكون موقف العلماء في مصر كموقف جاليلي حينما أرغم على القول بأن الأرض ساكنة ثم لم يلبث أن قال « ورغما عن ذلك فانها تدور » .

إذن فلا بد لنا — ورغما عن أنفنا — من ألفاظ أعجمية . ولكن ماذا ؟ أيذهب بنا الطهر اللغوي أن نكون ملكيين أكثر من الملك

فنسى أن العرب أنفسهم لم يأنفوا من هذه الألفاظ الأعجمية ! وإلا فما قولك فى مصطلحات مثل فلسفة وكيمياء وقاطيغورياس وكلها يونانية محضة ؟ وما قولك فى هذا المجمع الفرنسى الذى يقبل ويسجل Alcool, Algébre, Alcali ، وكلها عربية محضة ؟ ثم ما قولك فى هؤلاء العلماء الغربيين الذين يقبلون ويستعملون اسم هذا الدواء الذى حضره الاستاذ الدكتور خليل عبد الخالق وسماه فؤادين تيمناً باسم المغفور له فؤاد الأول وهو اسم أعجمى بالنسبة لهم ولا تركيه دلالة علمية ؟ ثم هذه المصطلحات الألمانية المحضة مثل (ماسء زلن) وغيرها المستعملة فى علم الأنسجة فى فرنسا وانجلترا . وهذه المصطلحات التى تسمها سمة يابانية و . . . وبعد فانه مهما يكن من الأصل الذى اشتق منه الاصطلاح العلمى فانه اذا كتب له البقاء - وليس هذا متوقفا على صحته من الوجهة الفقهية فهذه كلمة (بكتيريا) ومعناها فى اليونانية عصا أى جسم مستطيل ومع هذا فانهم يقولون بكتيريا مستديرة مثل (ستافيلوكوكاس) وهذه هى Hemoculture وهى مزج يتعارض مع أبسط قواعد الفقه اللغوى بين أصل يونانى Xipx أى دم وأصل لاتينى Cultura أى زراعة - أقول اذا كتب لمصطلح البقاء فانه يأخذ مكانه فى لغة العلم (بوضع اليد) ويفرض نفسه على الاستعمال مهما كان فيه من خطأ فهو لأنه نشأ عن مبدأ انفردت به لغة العلم وهو التخصيص والتمييز كما قلت آنفاً لمعنى جديد يشترك فى بعض صفاته مع معان متداولة ، فهم عندما قالوا (أنابولزم) لم تعوزهم كلمة فى اللغات الحية تقابل (البناء) التى وضعها مجمع اللغة العربية ترجمة لأنابولزم ، ولكنهم لاحظوا أنهم لو قالوا Construction فى الفرنسية أو Building فى الانجليزية مثلا فانه يختلط الفهم بين هذه الألفاظ العامة وبين المعنى الجديد المراد تحديده . بل إن فى المصطلحات العلمية معانى تشترك فى بعض صفاتها مع مصطلحات أخرى ، فهذه (فوتون) ذرة الضوء ، وهذه كروما وحدة إدراك الألوان ، وهذه ديوبترى وحدة الانكسار فى البصريات ، لايخفى ما بينها من العلاقة ، ثم ما بين الأولى وبين الذرات الأخرى (الكترون) و (بوزيترون) الخ ، فوجب التمييز والتحديد بالرجوع إلى أصول تجهلها اللغات القائمة .

وليس هذا كل شىء ، فهناك أيضا إرادة مزج معنيين أو أكثر فى لفظة واحدة على أن تكون هذه المعانى واضحة تذكرها جميعاً إذا ما ذكر الاصطلاح . ويبدو هذا واضحاً فى الكيمياء العضوية ولكن على سبيل المثال المركب - (Dimethylaminodimethylpheny Ipyrazolone) وهى (البيراميدون) المستعملة فى علم الأقرباذين ضد الحمى : فأنت ترى أن هناك خمسة وظائف كيميائية يجب ذكرها جميعاً عند التعبير كيميائيا . وليسمح لى الكاتب الفاضل بشىء من الفضول لأسأله كيف السبيل إلى ترجمة مثل هذه العبارات الفنية إذا بقى لدينا شىء من الاخلاص للعلم . وهلا يظن أن مثل هذه العبارات ليست أعجمية بالنسبة للغات الأوربية . ولكننا لم نسمع أن مجمعاً من مجامع اللغة فى أوروبا أو فى غيرها شن الغارة عليها بدعوى أن هناك غزوة ألفاظه أعجمية ضد اللغات الحية لأنه لم يقل أحد أن هذه المصطلحات لها شأن ما بلغة من اللغات .

وأخيرا فأنا لا أجهل أن لغة العلم لم تصل بعد إلى الوحدة المنشودة لها من العلماء فما زال كثير من المصطلحات يختلف باختلاف اللغات ، ولكن أغلب المصطلحات التى من هذا النوع والمستعارة من اللغات الحية رأسا قديم قليل التوفيق يترجم إما عن حركة علمية موضعية وإما عن اختلاف فى الرأى العلمى نفسه أو على الأقل عن وجهة نظر مختلفة ؛ فهذا شلل الطفولة الفقرى يدعى أحيانا (تفروميليت) وأحيانا (بوليو ميليت) وأحيانا أخرى (مرض هاين مدن) الخ . على أن هناك مجهودا متصلا فى استبعاد هذه الألفاظ « الأعجمية » عن لغة العلم ، ومن أجل هذا تنعقد المؤتمرات الدولية بين العلماء المختصين من البلاد المختلفة ؛ وفى هذه المؤتمرات — وفيها وحدها لا فى مجامع اللغة — يقترح اصطلاح جديد دولى يحل محل المصطلحات المتعددة بتعدد اللغات . ولا يخفى أن نجاح هذه المصطلحات الجديدة متوقف على التقدم العلمى الذى يوحد بين الآراء ؛ فهذا هو مؤتمر الكيمياء العضوية قد أقر مثلا لفظة (جلوسيد) لتحل محل هدرات الكربون ومرادفاتها : المواد النشوية والمواد السكرية ، وذلك بعد أن تبين أن جميع هذه المصطلحات التى كانت تختلف باختلاف اللغة قليلة التوفيق بل تعبر عن خطأ علمى ، وبالمثل فى (ليبيد) التى حلت محل Fatty Substances الانجليزية و Substaces granes الفرنسية ، ثم (بروتيد) التى حلت محل المواد الزلالية Albuminous وزميلتها المواد البروتينية الخ . وهكذا فقد أصبحت لغة الكيمياء موحدة فى جميع بلاد العالم . وقد تم مثل ذلك التوحيد فى لغة العلم فى كثير من فروع التاريخ الطبيعى . ثم هذه هى المؤتمرات الدولية يعقدها الفلاسفة وعلماء وظائف الأعضاء لهذا الغرض . ثم المعاجم الدولية فى فروع الطب يشترك فى تحريرها علماء من البلاد المختلفة للتقريب بين المصطلحات تمهيدا لتوحيدها .

والآن إذا كانت الحاجة ماسة ، والرغبة فى ترجمة الكتب العلمية الأجنبية إلى اللغة العربية ملحة ، فلا بأس من ترجمة الألفاظ التى لا زالت تختلف باختلاف اللغات . ولنضرب مثلا لذلك بالجهاز الذى يحول الشعاع الضوئى إلى تيار كهربائى والمسمى بالفرنسية Cellulephoto-electriqwe

وبالانجليزية Photo-electric cell وبالألمانية Photo elektrische zellen - فأنت ترى أن الكلمة التى تختلف هى Cellule, Cell, Zellen فيمكننا أن نقول فى مصر خلية فوتو ألكتريك ؛ ولكن حتى ترجمة مثل هذه الكلمة ليس من شأن مجمع اللغة بل هذا من شأن المشتغلين بالعلم . ولست فى ذلك متعنتا لأن هذه الترجمة تتطلب مجهودا علميا شاقا إذ أن هذه الكلمات التى تختلف باختلاف اللغات تدل فى كثير من الأحيان على اضطراب علمى وانقسام فى الرأى بين المدارس المختلفة. وقد رأينا مجمع اللغة العربية يختصر طريقه فى ذلك فاعتمد فى ترجمته على الكلمات الانجليزية — ومنها مابطل استعماله — كما لو لم تكن هناك حركات علمية فى غير انجلترا

أما قول الكاتب الفاضل إنه يذهب « إلى أن من الواجب ألا تجيز وزارة المعارف كتاباً ليدرس فى المدارس وعلى الأخص كتب العلم ، من غير أن يجيزه المجمع من حيث اللغة ومن حيث المصطلحات » فليس فيه قلب للأوضاع فحسب ، بل هو مؤد إذا أخذ بمثل هذا الرأى الذى يفوح برجعية القرون الوسطى - وليعذرنى الكاتب الفاضل فقد جاوز قوله هذا كل حد - إلى حالة من الركود والشلل ، فسيقفل باب الاجتهاد فى وجه العلماء الذين يعرفون مادتهم دون غيرهم أوعلى الأقل خيراً من غيرهم ، وسيرى كل مؤلف نفسه مقيداً بأوضاع من التعبير جامدة هى ما شرع المجمع ، عليه أن يصب مادته فيها إذا أراد أن ينال حظوة محكمة المجمع مهما كان فى ذلك تشويه لفكره

وبعد هذا نعجب كيف يتقدم القوم فى أوربا بخطى المارد فى سبيل الثقافة والمدنية بينما نحن نتخبط، نتقدم خطوة و نرجع القهقرى خطوات ! كلا ياسيدى ، ما بهذا يمكن إحياء اللغة والعناية بصفائها ، وليس يجيز لك حرصك على ألا تقتل الأعجمية المزعومة ما سميته بأدب العلم أن تلوح بهذه القيود الرجعية ، بل أنا أزعم أن جريمة القتل هى أن تشرع مثل هذه القيود، وجريمة القتل أن تستبعد لغة العلم من مصر ويستبدل بها ألفاظ لاخير فيها . لست أجهل أن الحرية المطلقة هى نوع من الفوضى ولكنى موقن من جهة أخرى أن البقاء للصالح ؛ فكل مؤلف وكل وضع من أوضاع التعبير الجديد يحمل فى طياته الحكم عليه بالبقاء أو الزوال

فاذا كان الأديب الفاضل اسماعيل مظهر يرى أن المشتغلين بالعلم فى مصر غير قادرين على الاجتهاد ، لايصلحون للتأليف ، ومهما يكن من حقيقة حكمه هذا ، فان ذلك لايخول لمجمع اللغة أن ينسى تلك الحقيقة الأولية التى أشرت إليها آنفاً والتى عبر عنها بعض الناس بأن العلم مجموعة من مصطلحات خاصة أشبه بالرموز تكون لغة مستقلة قائمة بذاتها إذا تفهمتها فقد تفهمت العلم . حسن أن يبدو من مجمع اللغة حرصه على تقدم العلم فى مصر ، ولكن الطريق التى يسلكها إلى ذلك هى التى أنكرها عليه ، لأن اشفاقه من غزوة الأعجمية المزعومة للغة الضاد اشفاق وهمى ، فلن يضيرها أن يكتب مؤلف (سيتوبلازما) بدلا من حشوة التى وضعها المجمع فيتكلف الناس من المشتغلين بالعلم فى مصر استظهار معجم من الألفاظ العربية إلى جانب المعجم الدولى الذى لا يمكن الاستغناء عنه إذا أردنا تتبع العلم فى تطوره . وقد درجنا ودرجت من قبلنا ومن بعدنا عشرات الأجيال من الطلبة والأساتذة فى المعاهد المصرية على استعمال مصطلحات (ستاتيكا) و(ديناميكا) و (كلور) و (مثيلين) و (بروتوبلازما) وغيرها من المصطلحات الدولية ، فكنا نعالج استعمالها فى غير شعور بما يسمى بالأعجمية ، كما كنا نستعمل ألفاظا مثل تشيكوسلوفاكيا واستكهلم ومترنيخ سواء بسواء . بل ما كنا نجد فى كل هذا من الغرابة ما كنا نجد فى تلك الألفاظ التى كانوا يضعونها فى حافظاتنا مثل افرنقع وغضنفر واسحنفر وغيرها من الألفاظ التى كنا نستعيذ بالله من وحشيتها . قل ما شئت فى قيمة الثقافة اللغوية لخريجى المعاهد المصرية فالعبرة بعد كل شىء فى الحكم على صلاحية لفظ أو عبارة بحظها لدى ذوق الجمهور من الخاصة أو من العامة ، فهذه مسرة وبرق يعرفهما كل الناس ولا يستعملهما أحد ، فتقرأ فى أكبر الصحف العربية تلغرافات كذا الخصوصية ، وتليفون رقم كذا ؛ أقول ذلك لأنى لا أومن بأن اللغة غاية فى ذاتها بل هى أداة ، وهى باعتبارها كذلك لا يمكن أن يكون المرجع فيها إلى مجلس يشرع بل إلى ذوق جمهور يستسيغ أو يعرض

وفى النهاية إذا كان لابد لمجمع اللغة أن يساهم فى النهضة العلمية فى مصر فليكن ذلك عن طريق ما أنشىء له أو ما كان يجب أن ينشأ من أجله ، واقصد العناية باللغة من حيث هى ، فنى كتب العلم شىء آخر غير المصطلحات . هناك العبارة اللغوية والأسلوب ، ومهما كانت الأسباب فهناك حقيقة يعرفها ويتألم لها كثير من المشتغلين بالعلم فى مصر ، وهى أن العبارة من اللغة الأجنبية التى لم يدرسوها إلا سنوات محدودة بالنسبة للغة العربية تواتيهم فى سهولة تؤنسهم من لغتهم ، فليكن سبيل المجمع إلى إصلاح هذا الحال : حال ضعف اللغة العربية عند أهلها . ليكن نشاطه فى البحث عما يقوم لسان الكتاب والمؤلفين إذا تكلموا أو كتبوا عن طريق عملى يجعل من اللغة العربية لغة سهلة التناول فى مستوى اللغات الحية الأخرى . أما المصطلحات العلمية ، وأما لغة العلم فهذه شأنها إلى العلماء

باريس ١٣ مارس ١٩٣٧

مصطفى زبور

في الأدب المقارن

الذاتي والموضوعي

في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ فخري أبو السعود

تتأثر النفس الانسانية بكل ما تحس من مظاهر الحياة، فاذا ماعبر المرء عن تأثره ذاك نثراً أو نظماً في لفظ نقي، كان تعبيره ذاك أدباً، فالأدب نتاج عاملين: مؤثر هو مظاهر الحياة التي تحفز الأديب إلى الانشاء، ويتخذها موضوعا لانشائه، ومتأثر هو ذات الأديب التي يترجم القول المنظوم أو المنثور عن خوالجها، وليس يخلو عمل أدبي من آثار هذين العاملين ممتزجين، فكل عمل أدبي هو ذاتي وهو موضوعي، غير أن الأعمال الأدبية تتفاوت حظاً من هذا ونصيباً من ذاك، فاذا استرسل الأديب في وصف ما هو بإزائه من مظاهر الحياة وشرح أحوالها على علاتها، مكفكفاً من عنان عواطفه محكما دونها الفكر، كان العمل الأدبي موضوعيا، وإن أرخى الأديب العنان لعواطفه ملماً بالموقف الذي هو حياله إلماماً خفيفاً، كان عمله الأدبي ذاتياً.

فمظاهر الحياة المختلفة هي مادة الأدب لأنها مادة الاحساس والتفكير، وبدونها لا يتصور تفكير ولا شعور، ولا تكون النفس إلا خواء تاماً ولا الفكر إلا فضاء مطلقا؛ والنفس الانسانية هي العامل الفعال الذي يعكس صور مظاهر الحياة تلك، ويمنحها من الصفات ما يروق المرء حيناً ويطربه ويحببه فيها، وما يسوؤه حينا ويؤلمه ويبغضه في بعض تلك المظاهر، والأديب مهما توفر على موضوعه الذي هو بصدده، ومهما كان موضوعه ذاك بعيداً عن نفسه وعن محيطه وزمنه، ومهما حكم فيه الفكر السليم والرأي المنزه، لا يخلو من أن يكون معبراً في عمله الأدبي عن ذاته، مصدراً عن طبيعته، وهي طبيعة يتفق فيها مع الآخرين إلى مدى، ويختلف عنهم في بعض نواحيها.

بل لا يعدو الحق من يقول إن الأديب لا يزيد مدى حياته على أن يعرض نفسه على قرائه، مهما تباينت موضوعاته وتعددت أشكال أدبه، فسواء راح مادحاً أو ذاماً أو واصفاً أو قاصاً، أو ملاحظاً لأحوال الناس أو متأملا في ماضيهم ومستقبلهم، فهو لا يعدو محيط نفسه وتجاريبه وعواطفه؛ بل إن بعض كبار الأدباء إنما بلغوا أوج نجاحهم الأدبي في العمل الأدبي الذي يصف كل منهم فيه قصة حياته، أو أهم تجربة من تجاريبه، أو أزمة نفسية عبرت به، كما قص لامرتين قصة حبه في «رفائيل»، وكما وصف كل من شاتوبريان وأناتول فرانس نشأته في آثاره الأدبية، وكما وصف تشارلز دكنز قصة طفولته في «دافيد كوبرفيلد»؛ وبلغ القصصيون ذروة نجاحهم في قصصهم التي كان أبطالها صوراً من أنفسهم أو من بعض حالاتهم النفسية، كما كان جيته فاوست، وكما كان أناتول فرانس بعض أشخاص كل رواياته

وأناتول فرانس نفسه يقول إننا لا نكتب إلا عن أنفسنا، ويزيد فيقول إننا لا نقرأ حين نقرأ إلا أنفسنا. ولا غرو فالمرء لا يدمن إلا قراءة الضرب الذي يعجبه من القول ويصادف هوى في فؤاده، ولا يصطفي من الكتاب إلا من يشاكله نفساً، وهو حتى حين يقرأ موضوعاته الأثيرة من آثار أدبائه المختارين يصبغ كل ما يقرأ بصبغة نفسه ويؤوله على حسب إدراكه وطبعه، ويستخلص منه ما قد لا يستخلصه غيره، وما لعل المنشىء نفسه لم يقصده، والناس إنما يقرأون الشاعر أو الكاتب وهو يتحدث عن نفسه لأنهم يرون في نفسه صورة من أنفسهم، وفي ذاته صدى من ذواتهم، فاذا ألفوه قد أغرب وباعد بين ما يصف وما يحسون نبذوه واستهجنوه، ولم يعنهم مما يصف من أحوال ذاته التي لا يحسونها في ذواتهم، أكثر مما يعنيهم من أحوال معيشته الخاصة ومطعمه وملبسه

والذاتي في أدب اللغة أسبق ظهوراً من الموضوعي: يبدأ الأدب في عهده الأول بتعبير الانسان عن خواطره العاجلة وأحاسيسه السانحة وتجاريبه الحاضرة، يرسل ذلك على سجيته وبديهته قولا سائراً أو أبياتاً شاردة، لم يعد لها العدة ولا تكلف فيها عناء طويلا، ويرقى الأدب رقياً كبيراً وما تزال الصبغة الذاتية هي السائدة فيه، وتظل له هذه الصبغة ما دام قريباً من البداوة غير آخذ أهله بشيء من الثقافة أو مقيدين لآدابهم بالكتابة؛ فاذا ما انتفع الأدب بالثقافة والتدوين ظهر فيه الضرب الموضوعي، إذ تتسع أفكار الأدباء ويمتد أفق نظراتهم ويقصدون التأمل في شؤون الحياة قصداً، غير منتظرين التجارب التي تسنح عرضاً، ويطلبون من مناحي الحياة ومذاهب التفكير الأبعد فالأبعد، فتزاحم الصفة الموضوعية الصفة الذاتية

فغزارة الضرب الموضوعي في الأدب من لوازم رقيه ووصوله إلى الطور الفني، بيد أن العنصر الذاتي لا يمحى ببلوغ الأدب هذا الطور، بل يبقى ويزداد رقياً وحرارة وعمقاً، ويظل صدقه وعمقه وحرارته خير مقياس لصدق الأدب ورقيه، ويقترن ضعفه وتلاشيه بضعف الأدب وفتور العاطفة فيه وتغلب اللفظ على الشعور الصحيح؛

فنى عصور تدهور الأدب يسود الضرب الموضوعى ، وتتفق موضوعات بذاتها يصطلح الأدباء على طرقها على أساليب مخصوصة لا يعدلون عنها ، ويكفكفون عواطفهم الذاتية ، فلا يكاد يتميز واحد منهم عن الآخر فى السمات والميول ؛ فالضرب الموضوعى يظهر متأخراً عن الضرب الذاتى فى الآداب ، ثم يبقى متخلفا عنه عند اضمحلال الأدب ، يبقى على حال من الضعف والتكلف والابهام

ولما كان الضرب الذاتى من الأدب أسبق إلى الظهور فى تاريخ الأدب ، كان مقترنا بالشعر الذى هو أسبق إلى الظهور من النثر الفنى فالأدب فى عهوده لايكاد يزيد على أن يكون شعراً ذاتيا ، فاذا دخل الأدب طوره المتحضر الفنى ظهر فيه النثر وظهر الضرب الموضوعى فى الشعر والنثر معا ، بيد أن الشعر يظل دائما متعلقا بالضرب الذاتى ، بينما يستأثر النثر منذ نشأته بالجانب الأكبر من الأدب الموضوعى ؛ فالشعر لما له من مزايا الموسيقى والخيال أقدر على التعبير عن الوجدانيات ، والنثر لما له من مزايا الرحب والدقة والتحرر من قيود الوزن والقافية أقدر على تتبع الوصف لموضوع الانشاء ، والاسهاب فى شرح دقيقه وجليله ؛ فاذا جمع أديب بين الصناعتين رأيته يندفع اندفاعا تلقائيا إلى النظم ، إذا حفزته ثورة نفسية متدفقة ، وينساق بداهة إلى النثر إذا أراد التأمل الهادىء والتوسع فى الشرح والاستقصاء ؛ على أن هذا ليس بمانع أن يحتوى النثر أحيانا على بدائع من آثار الضرب الذاتى ، وأن يشتمل الشعر على لطائف من آثار الضرب الموضوعى

ولما كان الشعر أشبه بالضرب الذاتى من الأدب ، والنثر أقرب إلى الموضوعى ، كان الشعراء بطبيعتهم أدباء ذاتيين أو أنانيين كما قد يلقبهم بعض المنكرين عليهم ، وكان الكتاب أدباء موضوعيين ، يتناولون من مجالات القول ما لا يمس أنفسهم وشخصياتهم إلا قليلا ، بينما لايكاد بعض الشعراء يخوض فى غير شؤون نفسه ، من طرب وشجن وغضب ورضى وحب وبغض ، حتى تلوح دواوين بعضهم كأنها صخب مستمر مزعج ، أو بكاء طفل مدلل وضحكه يتتابعان بلا انقطاع ، والبكاء أظهرهما جلبة والسخط والنقمة والشكوى أبين أثراً ، فاذا فرغ الشاعر من صخبه وثورانه جاء الكاتب من بعده هادئا وقوراً ، يصرف فى شعره نظر الحكيم الخبير ، ويحكم على شعره وخلقه وحياته وفهمه للدنيا حكم القاضى المتمكن ، فلا يزال الشعراء يلوحون كانهم فريق من المتهورين الأغرار ، ولايزال النقاد يظهرون فى مسرح الراشدين الأكبر منهم سنا وخبرة بالأمور .

ولا يقتصر التفريق على الشعر والنثر فى هذا الصدد ، بل هناك أشكال من الأدب هى أصلح للذاتى وأخرى هى أوفق للموضوعى : فالقصة والترجمة والتأريخ والملحمة كلها ضروب موضوعية يتحدث فيها المنشىء عن غيره من رجال الحقيقة أو الخيال ، ومن أبناء الحاضر أو الماضى ، ويدرس حوادث لم يساهم فيها ولم يختص بها ، وإن تكن لذاته فى كل ذلك آثار تقل او تكثر ، والرسائل الاخوانية والمذكرات ، والتراجم الشخصية والاعترافات وما جرى مجراها ، كلها أشكال من الأدب ذاتية يخصصها الأديب لتحليل ذاته وعرض صور من حياته ، وإن خالط ذلك شتى النظرات الموضوعية ، أما المقالة فيتراوح حظها من كل من الضربين .

وكما تفترق أشكال الأدب وتتميز فى هذا الصدد ، كذلك تفترق وتتميز موضوعاته : فالوصف والمدح والهجاء والحكمة أقرب إلى الضرب الموضوعى من الفخر والحماسة والنسيب والشكوى ، أما الرثاء فيجمع إلى وصف خلال المرثى وهو أمر موضوعى ، وصف مشاعر الراثى وهى أشياء ذاتية ؛ على أن مواضوعات الأدب هذه قلما ترد فى أثر الأديب خالصة مستقلا ذاتيها عن موضوعيها ، بل يتمازج الضربان كما أن الأشكال الادبية كثيراً ما تختلط ، فيتصل بالأثر الادبى الواحد الترجمة بالقصص مثلا ، ويمتزج الوصف بالنسيب ، وتبدأ القصة أو القصيدة بوصف منظر وتنتهى بخواطر وجدانية ، ومن ثم تمتزج الذاتية والموضوعية فى أكثر الآثار الأدبية .

ومن التعسف تفضيل ضرب من الاثنين على الآخر : فللذاتى من آثار الأدب محاسنه ، وللموضوعى مزاياه ، كما ان الشعر لايفضل النثر ولا الاخير يرجح الأول ، بل لكل فضائله ومواقفه ودواعيه ؛ فالعمل الأدبى الذى ترين عليه مسحة الذاتية يروع بحرارته وإخلاصه وصراحته ، ويشوق بكشفه عن نفس صاحبه وتحديده لشخصيته ، كما تحدد خطوط المصور شكل الصورة وجوانبها ، ويروع بقدرة صاحبه على التأمل فى نفسه وتوضيح خلجاتها ، والضرب الموضوعى يسر إذ يعكس فى صفحة الفن مانشهد ونحس فى عالم المشاهدة والخبرة ويروع بقدرة الأديب المنشىء على الملاحظة والتقصى والتجرد من أهواء نفسه والتوفر على ما هو بصدده ، لكل من الضربين مكانته وروعته ما اتفقت له صفتان : الصدق والعمق .

وكل من الأدبين العربى والانجليزى حافل بآثار الذاتية والموضوعية فى مختلف نواحيه ، ترين هذه أو تلك على بعض آثاره أو تغلب على أدبائه ، أو تظهر فى بعض عصوره ، أو تتجلى فى أشكال منه وموضوعات دون أخرى ، بيد أنه لاختلاف تاريخى الأمتين واختلاف ظهورهما فى عصر الحضارة والثقافة ، يحتل الطور الذى كان الأدب فيه ذاتيا عهداً مهما من عهود تاريخ الأدب العربى قبل

أن يظهر الضرب الموضوعى ويشيع فى الأدب ، على حين لم يتخلف فى الأدب الانجليزى من ذلك العهد شىء ذو بال ، وإنما يبدأ تاريخ الأدب الانجليزى الحديث من عهد اليزابث ، والضربان الذاتى والموضوعى فرسا رهان فى حلبته ، بل كاد الضرب الموضوعى أن يستأثر بالصدارة فى ذلك العصر .

ففى عهد الجاهلية وحقبة من الاسلام كان الأدب العربى - إذا استثنى القرآن الكريم والحديث الشريف - أغلبه ذاتى الصبغة ، وكان للشعر فيه المكانة العليا ، وكان الشعراء دائبين يبدأون القول ويعيدونه فيما خالج أنفسهم من خواطر ، أو مس حياتهم من قريب من حوادث ، فامتلأ قصيدهم بالحماسة والنسيب والمنافرة والمهاجاة والفخر والتمدح بكريم السجايا ، فلما توطدت الحضارة وشاعت الثقافة اتسعت جوانب الشعر وتعددت مجالاته ، وظهر بجانبه النثر الفنى ، وتناول كلاهما موضوعى الشؤون بجانب ذاتيها ، فكان من الفنون التى جدت فى الشعر أو توسعت فيه الوصف المسهب والمدح المطنب ، وتناول النثر رسائل الأمراء ، كما جال الجاحظ والبديع وغيرهما فى نواحى الحياة ومذاهب التفكير وأحوال الماضى وخصائص الأحياء وأخبار الأمم ووجوه النقد الأدبى ، فغزرت فى الأدب العربى منظومه ومنثوره فى هذا الطور آثار الذاتية والموضوعية . يتحدث المتنبى مثلا عن عظمته وفتوته ومطامحه وأشجانه ، فيجيء شعره ذاتيا صادقا رائعا ، ويمدح سيف الدولة أو سواه ويصف مآثره ومواقعه فيميل إلى الموضوعية ؛ والأرجح أن الموضوعية كانت أظهر فى هذا العصر ، لرواج ضربين من القول موضوعيين عج بهما الأدب : عج الشعر بمدح الأمراء ، وعج النثر برسائل الدواوين .

ذانك هما الطوران الأولان من أطوار الأدب العربى من جهة الذاتية والموضوعية : الطور الأول هو عهد نشأة الأدب الذى كانت الذاتية فيه غالبة ، والثانى طور نضج الأدب الذى فيه اجتمع الضربان ؛ أما الطور الثالث فهو عهد اضمحلال الأدب تدريجاً ، وهو طور تغلب الضرب الموضوعى وتلاشى الضرب الذاتى تدريجاً : جمد الأدب على موضوعات خاصة اصطفاها الأدباء ، فى مقدمتها المدح والهجاء - وعدوها وحدها مجال الأدب وشغل الأديب ، وطرقوها على أساليب خاصة يتنازعهم فى ممارستها عاملان الحرص على تقليد الأقدمين ، والرغبة فى إظهار البراعة بالتلاعب بالألفاظ والمعانى . أما المشاعر الذاتية الصادقة ، والخصائص النفسية المميزة ، فاختفت من الأدب ، وحتى فى شرح عواطفه كان أديب ذلك الطور مقلدا ، لا يشرح عواطفه إلا على نحو خاص قد جرى به العرف ، وحض عليه النقاد ، وبذلك جاءت الآثار الذاتية نفسها موضوعية عامة مبهمة

ومن أحسن أمثلة الضرب الذاتى الصريح فى الطور الأول قول عنترة :

فاذا ظلمت فان ظلمى باسل مر مذاقته كطعم العلقم
وإذا شربت فاننى مستهلك مالى ، وعرضى وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمى

ومن أمثلة أشعار الطور الثانى التى يمتزج فيها الذاتى والموضوعى قصيدة المتنبى التى يعاتب بها سيف الدولة ، ومنها قوله :

مالى أكتم حبا قد برى جسدى وتدعى حب سيف الدولة الأمم
فوت العدو الذى يممته ظفر فى طيه أسف فى طيه نعم
صحبت فى الفلوات الوحش منفردا حتى تعجب منى القور والأكم

ومن أمثلة أدب الطور الثالث الذى طغت فيه الموضوعات المأثورة وطمست الشخصية الذاتية قول القائل :

وقفت بأطلال الأحبة سائلا ودمعى يسق ثم عهدا ومعهدا
ومن عجب أنى أروى ديارهم وحظى منها حين أسألها الصدى

وكان للشعر المكانة الأولى فى الأدب الانجليزى فى العصر الاليزابثى ، وكان يتناول الضربين الذاتى والموضوعى من النظم ، تختص بالأخير الروايات التمثيلية التى ازدهرت إذ ذاك إزدهارا عظيما ، وتختص بالأول القصائد المرسلة طويلها وقصيرها ؛ وفى القرن الثامن عشر هبط فاضمحلت فيه النزعة الذاتية ، وأصبح أكثره موضوعيا مبهما ، واحتل مكانه النثر وشمل شتى النواحى الذاتية والموضوعية ، ففى الأولى كتب كاولى واديسون وستميل كثيراً من مقالاتهم ، وفى الثانية كتب جيبون وبوزويل ورتشاردسون وديفو وآخرون لا يحصون كتبهم فى التاريخ والترجمة والقصص والمغامرات . فلما كانت النهضة الرومانتسية عادت للشعر أفضليته ، وحفل بشتى الآثار الذاتية والموضوعية ، بين وصف الطبيعة وسرد الخرافات الشائقة ، ووصف تأثر النفس بهذه وتلك ، وتمجيد الجمال وشرح أطوار الحب ، ولم يزل الشعر والنثر منذ ذلك العهد فرسى رهان ، يطرقان شتى المناحى بين ذاتيها وموضوعيها

بيد أن الذاتية ما زالت منذ عهد شكسبير إلى العصر الحاضر تطغى على الموضوعية رويداً ، وتستأثر شيئا فشيئا بالتفات الأدباء ، وتفوز بأشكال أدبية جديدة . ففى عهد شكسبير كان الروائى يحرك روايته حول أشخاص تاريخيين أو خرافيين بعيدين عنه بعداً كبيراً وفى القرن الثامن عشر عهد النثر الذهبى كان الادباء يكتبون القصص يضمنونها من طرف خفى صورا من حياتهم وجوانب من أنفسهم ، فيكتب سمولت الأفاق قصة كونت فاثوم المغامر ، ويكتب جولد سمث

ابن القسيس قصة قس ويكفيلد التى ليست إلا حكاية عهد نشاته فى أسرته، ثم يكتب تشارلز دكنز فى القرن التالى قصة صباه فى كتابه دافيد كوبرفيلد؛ ثم تزدادالذاتية بروزا ويرفع الأدباءحجاب التخفى وينبذون الأسماء المستعارة، فيكتبون قصص نشأتهم ومذكرات رجولتهم وينشرون رسائلهم وتراجمهم الشخصية، والأدب الانجليزى المعاصر حافل بآثار هذه الذاتية السافرة

وقد امتازت بالذاتية الواضحة، أو الأنانية الأدبية، كثير من الأدباء الانجليز، كانوا لا يملون التأمل فى نفوسهم والتحدث عن ذواتهم صراحة أو تحت غشاء شفاف: فملتون يعرض لكوارثه وعماه ومبادئه السياسية والدينية والاجتماعية فى ملاحمه الثلاث، وورد زورث يؤلف المطولات الشعرية فى تصوير صباه وخواطره من طفولته إلى كهولته، وبيرون ينظم القصيدة تلو القصيدة ويصور البطل تلو البطل، ولا يزيد أن يتحدث عن نفسه وميوله وآرائه، وشلى يسمى نفسه «اريل» باسم إله إغريقى، ويكتب عن نفسه تحت ذلك العنوان أشعارا، وكل من هازلت ولام يصور تصويرا دقيقا أميناً ما يحس عند خروجه للرياضة على الأقدام أو حين سماعه النواقيس تتجاوب مؤذنة بانتهاء العام أو نحو ذلك

ومن جهة أخرى نرى أدباء من أمثال جراى وكولردج ورسكن يستترون وراءحجاب من الوقار والتفكير الهادىء الشامل ويتحدثون مصورين أو قاصين أو ناقدين، عن غيرهم من رجال التاريخ والأساطير وأعلام الفن والأدب، فأكثر آثار هؤلاء موضوعية، وأكثر مؤلفات الأولين ذاتية؛ كما كان من الأدباء من أخذوا من كلا الضربين بنصيب وافر، ومن برزوا فى مجالى الشعر والنثر، ومن أنهوا حياتهم الأدبية باصدار تراجمهم الشخصية، ومن خلفوا فى النقد آثارا تبارى آثارهم فى النظم والانشاء، أو تفوقها، مثل دريدن وماكولى وماثيوارنولد

ويعد بعض المغالين تزايد هذه النزعة الذاتية فى الأدب الانجليزى علامة ضعف وانحلال، ولا شك أن غلبة أحد العنصرين الذاتى أو الموضوعى على الأدب من دلائل نقصه، وإنما يكون رقيه مقترنا برقى العنصرين فيه معا. يدل ما فيه من آثار الذاتية على صدق الشعور وعمق التأمل وتميز الشخصيات، ويدل ما فيه من آثار الموضوعية على شمول النظرة واتساع أفق التفكير وتناول الادب لمختلف نواحى الحياة؟

فخرى أبو السعود

«تصويب» جاء فى العدد الماضى ص ٤٥٩ س ١٥: وأعدوا لهم ما استطعتم من عدة، والصواب من قوة.

من مشاكلنا الحاضرة

ســؤال...

للأســتاذ على الطنطاوى

كنت أسمع من أبى والأشياخ من أهلى أنه كان فى بلدنا — فيما كان فيها من أوقاف كثيرة — وقف على المشتغلين بالعلم والمنقطعين إليه. يفتحون لهم بريعه المدارس الواسعة، ويعدون لهم الغرف المفروشة، ويهيئون لهم فيها المكتبات القيمة، ويقيمون لهم الخدم ويقدمون إليهم كل مايحتاجون إليه من طعام وشراب وحلية ومتاع، ويفرّغون قلوبهم من كل هم إلا هم الدرس والبحث، فكان الناس يرغبون فى العلم، ويقبلون عليه ويبرزون فيه..

... ثم ذهب ذلك كله بذهاب أهله، وخلف من بعدهم خلف أضاعوا الأوقاف، وأكلوا أموالها، فتهدمت هذه المدارس، وأمست خرائب واطلالا. ثم سرقها الناس فحولوها بيوتاً، وطمسوا آثارها...

فأعرض الناس عن العلم وزهدوا فيه، فقلنا: لا بأس، انها قد تتحول تلك المدارس الى دور عجزة، وقد تصير أحيانا ملجأ كسالى، ومأوى عاطلين، وعندنا المدارس الجديدة، تسير على منهج مقرر، ونظام معروف، وطريق واضح، فما نحن إلا كمن أضاع درهما ووجد ديناراً. وأقبلنا على هذه المدارس، إقبال العطاشى على المنهل الصافى. ومنينا أنفسنا بكل جليل وجميل ولكننا لم نلبث أن خرجنا منها. وواجهنا الحياة حتى علمنا بأنها لم تقم بما كان يرجى منها ويجب عليها ... ووجدنا أننا لا نصلح فى هذه الحياة إلا لشىء واحد، هو (الوظيفة)؛ أما العمل الحرّ، والمغامرة فى الحياة فنحن أبعد ما يكون امرؤ عنه؛ ووجدنا سبيل الوظيفة مسدوداً وكراسيها مملوءة؛ وكيف لا تكون كذلك وكل الناس يسعى إليها ويريدها؟ هل يكون أبناء الشعب كلهم موظفين؟ فكنا واحداً من رجلين: اما الغنى الموسر

فعاش بمال أبيه . وأقام منه سورا حوله . فلا يرى الحياة ، ولا تصل إليه بآلامها ومصائبها . وأما الفقير فيتخبط فى لجة اليم : يم الحياة تضربه بأمواجها ، فلا ينجو من لطمة إلا إلى لطمة ، ولا يخلص من شقاء إلا إلى شقاء

وقد يكون فى هؤلاء الفقراء موهوبون ، وقد يكون فيهم ذوو الملكات ، وفيهم من إذا استراح من هم العيش واشتغل بالعلم برّز فيه وبرع ، ونفع أمته ووطنه وخلف للأجيال الآتية تراثا علميا ضخما كالذى خلفه لنا الأجداد ... فماذا يعمل هؤلاء ؟ ومن أين لهم العقل الذى يدرسون به ، والهمة التى يؤلفون بها ، وعقولهم ضائعة فى البحث عما يملأ معِدهم الجائعة ، ويستر أجسادهم العارية ، وهممهم مصروفة إلى ضمان الكفاف ، والحصول على ما يتبلغون به ؟

لقد قال الشافعى رحمه الله منذ الزمن الأطول : لو كلفت شراء بصلة ، ما تعلمت مسألة ... فكيف يتعلم ويدرس ويؤلف من يكلف شراء الرغيف ، وشراء ثمن الرغيف ؟

إنى أعرف كثيرين ممن يؤمل لهم أن يبرعوا فى الأدب ، ويتفوقوا فى العلم ، قدر الله عليهم الفقر والافلاس ، وعلق بأعناقهم أسراً عليهم إعالتها ، والسعى فى إعاشتها ، فألقوا القلم والقرطاس ، ورموا الدفتر والكتاب ، وخرجوا يفتشون عن عمل . . . يطلبون وظيفة ؛ غير أن الطريق إلى الوظيفة وعر ملتو طويل ، لا يقدر على سلوكه ، ولا يبلغ غايته ، إلا من حمل معه تميمة من ورق (البنكنوت) يحرقها أمام أبواب الرؤساء لتخرج شياطينها فتفتح له الباب . أو صحب معه (الشفيع العريان) وأين من هذين الشاب النابغ المفلس الشريف ؟ ثم إنه إذا بلغ الوظيفة وجدها لا تصلح له ولا يصلح لها ، وضاقت به وضاق بها !

أعرف كثيرين من هؤلاء يظهرون فجأة كتاباً مجددين ، وشعراء محسنين ، وعلماء باحثين . فما هى إلا أن تنزل بهم الحاجة وتنيخ عليهم (هموم الخبز) حتى تقطعهم عما هم فيه ، ثم تذوى ملكاتهم وتجفف قرائحهم وتتركهم يموتون على مهل ، ويموت بموتهم النبوغ ، وأرباب الأقلام وأصحاب الصحف يشهدون مصارعهم فى صمت وإعراض ، لا يهتمون بهم ، ولا يظنون أن عليهم واجباً تلقاءهم ، حتى إذا قضوا قاموا يطنطنون بذكرهم ويشيدون بمواهبهم ، ويركبون على قبورهم ليقولوا للناس : أنظروا الينا ...

هذه هى علة الشرق .

إنى عهدتك بعد الموت تندبنى وفى حياتى ما زودتنى زادى

ورحم الله القاضى عبد الوهاب المالكى ، خرج من بغداد فخرج لوداعه عشرون ألفاً ، يبكون وينتحبون فقال لهم : ياأهل بغداد ، والله ما فارقتكم عن قلى ووالله لو وجدت عندكم عشاء ليلة ما فارقتكم ، وهم يبكون وينتحبون ويصرخون : إنه يعز علينا فراقك ، إننا نفديك بأرواحنا ، ياشوقنا إليك ! يا مصيبتنا بفقدك ... !

* * *

هذه هى المسألة ... أفليس هناك طريقة لانقاذ الدماغ من المعدة ؟ لانصاف العلم من المال ، لحماية النبوغ من الضياع ؟

من يشتغل بالعلم والدرس والكتابة والتأليف إذا كان الفقراء لا يطيقونه ، والأغنياء لا يحسنونه أكان لزاماً على من يشتغل بذلك أن يموت من الجوع ؟ ألا يستحق هذا المسكين بطريقة من الطرق ، بقانون من القوانين ، عشرين ديناراً ، ياخذها موظف جاهل خامل بليد ، لا يحسن شيئاً إلا النفاق والالتماسات والوساطات ، ولا ينفع الأمة معشار ما ينفعها هذا الذى يذيب دماغه ، ويحرق نفسه ، ويعمى بصره ، وينفق حياته فى النظر فى الكتب ، والخط بالقلم ؟

أما فى ميزانية الدولة ، أما فى صندوق الجمعية ، أما فى مال الجريدة ، ما تشترى به آثار هذا الكاتب ، وأشعار هذا الشاعر ، وبحوث هذا العالم ، بالثمن الذى يعدل ما بذل فيها ، ليعيش فيصنع غيرها

.هذه هى المسألة !

هل يجب أن يموت النابغ لأنه نابغ ، ويعيش الأغبياء والجاهلون ؟ أم يجب عليه أن يميت نبوغه ليعيش ، ويبيع عقله وذكاءه برغيف من الخبز ؟

(بغداد) **على الطنطاوى**

الأقلام العربيـــة في المهاجر الأمريكية

للأستاذ يوسف البعيني

لا يجهل أحد في مصر وسائر الأقطـار العربية تلك النهضة الفكرية الأدبية التي يقوم بها فريق من خيرة كتابنا وراء البحار ، فهنالك خطباء وشعراء وكتاب من الطراز الاول يعززون القومية العربية ، ويغذون الجاليات بثقافتها وتاريخها وآدابها .

ولدى رسائل عدة من صفوة الكتاب هنالك يحمدون فيها (للرسالة) دعوتها ، ويباهون بنهضتها ، ويرونها بحق كتاب الشرق الجديد وديوان العرب المشترك .

ومن هؤلاء الكتاب المعجبين بالرسالة عبقري مجدد ملك آداب الفرنجة فاجتذبها الى بيانه العربي في حين تخطف هذه الآداب عددا كبيرا من الناشئة حتى في عقر دارنا .

وهذا العبقري هو الأستاذ يوسف البعيني الذي لا تخلو جريدة أو مجلة عربية في شمالي أميركا وجنوبها من بدائعه ، وقد رأي أن يرسل الى القطعة الآتية لتنشر في الرسالة فاتحة لمـا سيتبعها من رسائل لاخوان لنا وراء البحار من حقهم أن نخصص لهم صفحة في ديوان العرب المشترك .

وإلى القراء هذه القطعة الرائعة .

ف . ف

حبٌ وغرام

في كتبِ الحبّ وقصص الغرام مقاطع مشرَّبة بالعهود ، وصفحاتٌ مبطّنة بالوفاء . فعند ما يُصغي الشاعر الحسّاس إلى رنين ألفاظها وهمسَ معانيها تطفو عليه موجةٌ مترعة باليأس والحنين . وكثيراً ما يشاهد في قرارتها أحلامه المبعثرة بين فجر الماضي ومَسائه

ومَنْ يتفهَّم مرامي تلك الصفحات الغراميّة يعلم أنّ كاتبيها وضعوها لتكونَ رمزاً إلى العهود على مدَى الليالي والأيام ... وأروعُ ما في الحياةِ عندي هي العهود . . أجل العهود التي تعطينا صوراً جليّة عن أسرار القلوب وخفايا الأرواح

فان أكثر الحفّارين عنـد ما أرادوا أن يرسموا المثلَ الأعلى في الحبّ لم يجدوهُ إلاّ في العهود ... وهكذا أدركَ الشعراء أيضاً أن أجملَ ما في الشعر صفحةٌ غرامية تعبّرُ عن الوفاء ... ومتاحف العالم اليوم طافحةٌ بدُمى الحفّارين . كما أنّ قصص الشعراء زاخرة بأخبار الحبّ والغرام . وفي اعتقادي أنّ الشاعر في صفحاتهِ ، والحفّار في دُماه ، إنّما كانتْ بغيتهما تخليدُ العهود ! !

ولـكن هل في الحياة حبّ مغموس بالوفاء ، وغرامٌ منحوت من العهود ؟ أم هما موجودان فحسب في أحلام الشعراء ودمى الحفّارين ؟ من يدري ... وكلُّ ما أعلمهُ هو شاذٌ عن أفهامِ الناس وعن أذواقهم

* * *

أنا لا أُريد أن أبحث عن صِحّة تلك الأحلام وعن خطأها ، ولا أبتغي البحث عن جمال تلك الدمى وعن عللها ؛ إنما أريد أن أتحدّث عما فيها من حبٍ وغرام ، وهما أقرب إلى العهود منهما إلى شيء آخر

فلقد قرأتُ في الكتاب الشعريّ الأنيق - تهاليل الفجر - الذي أخرجه الكاتبُ المجدّد « بيير لويس » موضوعاً شيقاً عن رسائل الراقصة الروسيّة الساحرة - إيذادورا دونكان - التي كانتْ ترسلها إلى حبيبها التعِس « إيفان بارشوف » عند ما بلغها خبرُ مرضه وأنه يلهج باسمها فوق سَرير آلامه . وإني لمورد في ما يلي هاتين الرسالتين المشبعتين بغرامِ الراقصة الجميلة وحبّها المفعم بالوفاء

— ١ —

أيهـا الحبيب !

إنّ زهرةَ مخدعي التي أبقيتَ على أوراقها ذكراً يهولني مرآها الشاحبُ الحزين ... والسراجَ الأحمر الذي كنتُ ألمحُ في نظراتهِ بهجةً وإغراء فيما مضى يروعني الآنَ منه نورهُ الواجمُ الضئيل ... والبلبل الغريد الذي كان ينبّهني إلى إجتناء اللذات يشجوني نفورهُ المبهم ، وصمتُه العميق ! !

إنّ روحي تريد أن تستهدي إلى قرارها في ليل شوقها وحنينها فيصدُّها العذاب ... عذابُ فراقكَ الطويل الذي أورثني ملّةً خرساء كسكينة القبور

لقـد علمتُ أنك تقاسي من أجلي آلاماً مبرّحة ... فهل عرفتَ أيهـا الحبيب أنّ في قلبي المعذّب شجواً محنظلاً أمرّ من الموت ؟

أحياناً ... تهفو على مخيّلتي أحلام ملولة مزعجة ... أحلام

سوداء مخيفة! فأحجب وجهي بكلتا يديّ وأغيبُ في غمرة موجعة متمنّيةً بعدها المنيّة لأنه لا قدرة لي على استماع أنّاتك وشكاواك!

أضرعُ إلى الله أن يرحمني بشفائك. وثق أني سأبقى سجينة مخدعي، بعيدةً عن خلوات أحلامي، متجرّدة من سروري وابتسامي، هاجرة شعاع القمر الشاهد على أويقات حبنا وغرامنا حتى تعود إلى ذراعي حبيبتك (ايذادورا)

— ٢ —

يا معبودي الجميل!

الآن وقد أرخى الليلُ سدوله على البسيطة مغلقاً بأنامله الناعمة أجفانَ النيام، تمرُّ بي أشباحٌ خفيّة هامسة في مسامعي اسم ذلك الحبيب الذي أجرى في أودية قلبي جدولا لا ينقطع خريره، وغرس في حديقة روحي زهرة معطرة لا تموت.

وعلى هذا النغم الشجيّ المؤثر الذي تلحنه الظلمة فيردّده الدجى باكياً ملتاعا، أسمعُ نعياً منذراً بمأساة مرعبة فأمسي كورقة تهبُّ عليها الرياح السافيات.

لقد مات بلبلنا الحبيب صباحَ اليوم! مات ضمن قفصه وهو ينظر إلى الأعالي كأنه يرى بين الغيوم خيالا عجيباً، فبكيته طويلا وقلت في نفسي هل مات حبنا المقدس بموت هذا الطائر الصغير!

إن نفسي تلفحها الآن نار متلظية، نار محرقة تضرمها أيد مجهولة؛ فمتى تتحول هذه النفس إلى رماد هامد لا يحس؟ إن النفس التي تحس لهي شقية، إذ تحياها ثمة وراء أحلامها الشاردة. ولن أشعر بالراحة إلا عند ما تغمرني بقبلاتك الطائشة (إيذادورا)

***

وأذكر أنني عند ما قرأت هذه الرسائل — وكلها مطلية بالحب والغرام — استولت على كآبة خرساء بلا معنى، وأية روح مهما بلغ فهمها لفلسفة الحب لا تشعر بسلطان خفي مجنح يستأثر بها ويحملها إلى أمكنة نائية لا تنطق فيها إلا العهود، ولا يتمايل في أجوائها غير الوفاء

إن هذه القبلة الطافية فوق ألفاظ العاشقة الوالهة، وهذا التوق الملح النابض بأسرار قلبها، وهذا الإيمان الثابت القاطن أعشاش صدرها... إن كل ذلك هل تحافظ عليه دون خداع في الحب؟ ولنفرض أن حبيبها حجبه الموت بعد حين فهل تبقى وفية له طوال أيامها؟

لقد مات — إيفان بارشوف — بعد كتابة هذه الرسائل بثلاثة أسابيع. فلا أذكر إذا كانت الراقصة المغرمة قد تفجعت عليه تفجعها في رسائلها إليه. ولكنني أعلم أنها نسيته سريعاً

فانها لم تبكه بدمعة
ولم تنثر على ضريحه زهرة
ولم تذكرهُ بكلمة...
ولم تتلهف على أيامه الماضية

بل كانت، قبل أن يجف قبره، تعانق حبيباً جديداً لتنسى في دعابه ومزاحه ذلك العاشق المسكين الذي أسكنه الدهر تلك الحفرة الضيقة الباردة ليقضي فيها زمناً مجهولا غير عالم بما يجرى في هذا الوجود

فالوفاء والعهود كلمتان نجدهما في كتب الشعراء وتماثيل الحفارين. أما في هذا العالم فلسنا نجد الا حباً كاذباً وغراماً سريع الزوال يعقبه دائماً نسيان أبدي على أثر محو القبلة التي تتبادلها الشفاه!

***

وهناك حب سريع الزوال، فهو وإن مازجته الدموع وأفعمته التنهدات، تمحوه الحياة كما يمحو شعاع الشمس لهاث الطفل العالق على لوح من زجاج

في أواسط الجيل الماضي تحدث الناس عاماً كاملا عن قصة غرامية جرت حوادثها بين الغادة الحسناء «المدموازيل إلسيت» وبين الشاعر الجميل — شارل هيكو. والذي عجب له الناس كثيراً هو هيام الحسناء بالشاعر الصغير وتفضيلها اياه على كبار رجال باريس الذين غمروها بالذهب والحلي وأحاطوها بكل أسباب الترف والابهة والكبريا

وقد أبقى العاشقان رواية يُطرب استماعُها، ويشوق موضوعُها. فانّ الحسناء كانتْ كلفة كثيراً بالشاعر الى درجة انها لم تكن تقوى فيها على فراقه ساعة واحدة وفي ذات يوم حكم على العاشق الفتى أن يبرح باريس شهراً على الأقل. فلما عاد الى ذراعيها صدته عنها بحجة ان قبعته المعجب بها ليست ظريفة. وان الأشعار التي ينشدها اياها مختلسة من دفتر صغير أسود الغلاف يقبع دائماً تحت وسادة والده الشاعر الكبير فيكتور هيكو

وهذه الحجة الساخرة بما فيها من ضراوة المرأة المستهترة كثيراً ما تتمثل في الحياة. ولا أشك في أن القراء يجهلون تلك

القصة الدامية التى تركها الشاعر الالهى الساحر – دى موسيه – مع جورج ساند وكيف عبثت بقلبه الرقيق لتتعلق بطبيب إيطالى لأنه لا يهمهم فى الظلمة ... ولا يحب الخمرة ... مثل موسيه !

لقد يطول بى الحديث إذا أنا مررت بكل ما هنالك من شؤون وعبر . ولكننى مكتف الآن بايراد لمحة وجيزة عن غرام الشاعر المشهور – شارل بودلير – مع حبيبته المعبودة – جان ديفال – التى ألهمته أشجى أشعار الحب والجمال في كتابه الخالد «أزاهير الشر» وهذه الحبيبة التى عشقها طول حياته كانت سوداء !!

وأعتقد أن الشعراء الساخرين ليضحكون من هيام الشاعر اللطيف بامرأة سوداء . نعم قد يضحكون . . ولكنه الغرام . . . الغرام القاهر الذى يستحوذ على القلب الضعيف فيقيده بالسلاسل ويغله بالأصفاد

وعلى الرغم من شغف الشاعر ، ولهفة روحه ، وثابت وفائه ، فقد خدعته حبيبته الماكرة بعد أن نحت لها من غرامه تمثالا ومن حبه محراباً للعبادة . ولكن هذا الخداع فى الغرام ، وهذه الخيانة فى الحب أغنيا الأدب الفرنسى لأنهما أفاضا دموع الشاعر وأوقدا نار وجده وحنينه !

***

أنا لا أريد أن أشجب الحب ، وأن أهجو الغرام ؟ كلا ما إلى هذا أذهب . . بل أريد إثبات أنهما موجودان وحسب فى كتب الشعراء وتماثيل الحفارين . والشاعر والحفار لا يصوران غالباً إلا كل ماسما فى فضاء الأحلام وما تمدد على سرير الشعور والاحساس

الرجل الذى يعتقد خلود الغرام ووفاء الحب هو رجل مسكين يستحق الشفقة . . . إذ لا قبلة يبقى طعمها على الشفاه ، ولا وعود تظل محفوظة ، ولا ذكرى تحيا فى القلوب

وجل ماهنالك حب كاذب وغرام خادع شبيهان بالخطوط التى ترسمها الأمواج على رمال الشاطىء فاذا لم تمحها العاصفة لاتلبث الأمواج أن تمحوها . فالحب الذى لا تبدده الحياة يبدد نفسه بنفسه ، والغرام الذى لا يعثره الموت يبعثر ذاته بذاته

هما حلم يراود الروح فى المنام ، ولكن اليقظة تشتته ولا تترك منه إلا أثراً دامياً يحنظل الأمانى ، ويشقى الآمال

(البرازيل) **يوسف البعينى**

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألمانى فريدريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

فى الجزر السعيدة

ها إن التين يتساقط عن أشجاره عطر النكهة حلو المذاق وقشوره الحمراء تتشقق بسقوطها ، وأنا هو ريح الشمال يهب على هذه الأثمار الناضجة . إن تعاليمى تتساقط إليكم أيها الصحاب كمثل هذه الأثمار فتذوقوها الآن عند ظهيرة من أيام الخريف وقد صفت فوقكم السماء .

سرّحوا أبصاركم فيما حولكم من خيرات الأرض ثم مدوا بها إلى آفاق البحر البعيد فليس أجمل لمن فاض رزقه من أن يتطلّع إلى الأبعاد

لقد كان الناس يتلفظون باسم الله عند ما كانوا يسرّحون أبصارهم على شاسعات البحار ، أما الآن فقد تعلمتم الهتاف باسم الانسان الكامل

إن الله افتراض وأنا أريد ألاّ يذهب بكم الافتراض إلى أبعد مما تفترض إرادتكم المبدعة.

أفتستطيعون أن تخلقوا إلهاً ؟ إذن أقلعوا عن ذكر الآلهة جميعاً ، فليس لكم إلا إيجاد الانسان الكامل

ولعلكم لن تكونوا بنفسكم هذا الانسان الكامل ولكن فى وسعكم أن تصبحوا آباء وأجداداً له . فليكن هذا التحول خير ما تعملون

إن الله افتراض وأنا أريد ألا يتجاوز بكم الافتراض حدود التصور ، فهل تستطيعون أن تتصوروا إلهاً ؟ فاعرفوا من هذا أنّ واجبكم هو طلب الحقيقة فلا تطمحوا إلى ما يبلغه تصور الانسان وبصرُه وحسُّه ، فأمسكوا بتصوركم كيلا يتجاوز حدود حواسكم

يتحتم عليكم أن تبدأوا بخلق ما كنتم تسمونه عالماً من قبل فيتكون عالمكم من تفكيركم وتصوركم وإرادتكم ومحبتكم

وعندئذ تبلغون السعادة يامَن تطلبون المعرفة . وكيف تطيقون الحياة إذا لم يكن لكم هذا الرجاء ؟

على مَن يطلب المعرفة ألا يتورط فى ما يرده العقل من المعميّات

لسوف أفتح لكم قلبى فلا تخفى عنكم خافية فيه ، فأقول لكم: لو كان هنالك أرباب أ كنت أتحمل ألا أكون رباً ؟ إذن ليس فى الكون أرباب

لقد استخرجت لذاتى هذه النتيجة ، وها هى تستخرجنى الآن

إن الله افتراض ولكن من له بتحمل كل ما يضمر هذا الافتراض من اضطراب دون أن يلاقى الفناء؟ أتريدون أن تأخذوا من الخالق إيمانه ومن النسر تحليقه فى أجواز الفضاء؟

إن الله عبارة عن إيمان ينكسر به كل خط مستقيم ويميد عنده كل قائم ، فالزمان لدى المؤمن وهم ، وكل فان فى عينيه بطل وخداع ، فهل مثل هذه الأفكار إلا أعاصير تتطاير فيها عظام البشر وتورث الدوار لشاهدها ؟ تلك افتراضات يدور المبتلى بها على نفسه كالرحى حتى يموت

أفليس من الشر والافتيات على الانسانية كل هذه التعاليم تقيم الواحد المطلق الذى لا يناله تحول ولا تغيير ؟

إن الرموز وحدها لا تتغير ، وطالما كذب الشعراء ، غير أن خير ما يضرب من الأمثال ما يصور الحاضر وآتى الزمان فتأتى حجة لكل زائل لا نقضاً له

ليس فى غير الابداع ما ينقذ من الأوجاع ويخفف أثقال الحياة ، غير أن ولادة المبدع تستدعى تحولات كثيرة وتستلزم كثيراً من الآلام

أيها المبدعون ستكون حياتكم مليئة بمرير الميتات لتصبحوا مدافعين عن جميع ما يزول

على المبدع إذا شاء أن يكون هو بنفسه طفل الولادة الجديدة أن يتذرع بعزم المرأة التى تلد فيتحمل أوجاع مخاضها

لقد اخترقت لى طريقاً فى ميتات النفوس والأسرة وأوجاع المخاض غير أنى كثيراً ما نكصت على أعقابى لأنى أعرف ما تقطع الساعات الأخيرة من نياط القلوب .

ولكن ذلك ما تطمح إرادتى المبدعة اليه ، وبتعبير أشد صراحة ذلك هو المقصد الذى تريده إرادتى

إن جميع ما فىّ من شعور يتالم مقيداً سجيناً وليس غير إرادتى من بشير يؤذن بالمسرة ، ويأتى بالافراج عن الشعور

إن الارادة وحدها تحرر ، وما بغير هذه الآية من شرعة صحيحة للارادة وللحرية ، على هذا تقوم تعاليم زارا

بعداً وسحقاً لكل وهن وملال يشل الارادة ويوقف كل تقدير وإبداع

ان طالب المعرفة يشعر بلذة الارادة والايجاد وبلذة استحالة الذات الى ماتحس به فى أعماقها ، فاذا انطوى ضميرى على الصفاء فما ذلك الا لاستقرار ارادة الايجاد فيه . وهذه الارادة هى ما أهاب بى للابتعاد عن الله وعن الآلهة ، اذ لو كان هنا لك آلهة لما بقى شىء يمكن خلقه .

إن طموح إرادتى الى الايجاد يدفعنى أبداً نحو الناس اندفاع المطرقة فوق الحجر

أيها الناس انى ألمح فى الحجر تمثالا كامناً هو مثال الأمثلة أفيجدر أن يبقى ثاوياً فى أشد الصخور صلابة وقبحاً

ان مطرقتى تهوى بضرباتها القاسية على هذا السجن فأرى حجره يتناثر

أريد أن أكمل هذا التمثال ، إن طيفاً زارنى وألطف الكائنات وأعمقها سكوتاً قد اقتربت منى

لقد تجلى بهاء الانسان الكامل لعينى فى هذا الخيال الطارق فما لى وللآلهة بعد : (١)

هكذا تكلم زارا .

الرحماء

لقد بلغنى ، أيها الصحاب قول الناس : « أفما ترون زارا يمر بنا كانه يمر بين قطيع من الحيوانات »

وكان أولى بهم أن يقولوا : ان من يطلب المعرفة يمر بالناس مروره بالحيوانات

ان طالب المعرفة يرى الانسان حيواناً له وجنتان حمراوان ولم يراه هكذا ؟ أفليس لأنه كثيراً ما علته حمرة الخجل؟

---

(١) ونحن نقول بدورنا لنيتشة متخذين قياساً من قياسه : لوأمكن للانسان أن يخلق شيئاً لما كان هنالك إليه ، وبما أن الانسان يقصر عن إيجاد ذرة وخطرة فكر فى عالمى المادة والروح فالكائن الأزلى مفروض فرضاً على العاقل وكل قول يخالف هذا القول ثرثرة وجنون . . .

هذا ما يقوله طالب المعرفة أيها الصحاب : ـ ان تاريخ الانسان عار فى عار

ولذلك يفرض الرجل النبيل على نفسه ألا يلحق إهانة باحد لأنه يستحي جميع المتألمين

انى والحق أكره الرُحَماء الذين يطلبون الغبطة فى رحمتهم، فاذا ما قضى على بان أرحم تمنيت أن تجهل رحمتى والا أبذلها إلا عن كثب . أحب أن أستر وجهى حين اشفاقى وأن أسارع الى الهرب دون أن أعرف . فتمثلوا بى أيها الصحاب

ليت حظى يسوقنى أبداً حيث ألتقى بأمثالكم رجال لا يتألمون وفى طاقتهم ان يشاركونى آمالى وولائمى وملذاتى

لقد قمت باعمال كثيرة فى سبيل المتألمين ولكن كنت أرى أن الأفضل من هذا زيادة معرفتى فى تمتعى بسرورى . فان الانسان لم يسر الا قليلا منذ وجوده وما من خطيئة حقيقية الا هذه الخطيئة

اذا نحن تعلمنا كيف نزيد فى مسرتنا فاننا نفقد معرفتنا بالإساءة الى سوانا وباختراع ما يسبب الآلام

ذلك ما يدعونى الى غسل يدى اذا أنا مددتها لمتألم ، بل والى تطهير روحى أيضاً ، لأننى أخجل لخجله وتؤلمنى مشاهدتى لآلامه ولأننى جرحت معزة نفسه بلا رحمة عندما مددت له يدى

ان عظم الاحسان لا يولد الامتنان بل يدعو الى اخماد الحقد ، واذا تغلب تافه الاحسان على النسيان فانه يصبح دوداً ناهشاً

لاتقبلوا شيئاً دون احتراس ، وحكموا تمييزكم عندما تأخذون.

ذلك ما أشير به على من ليس لهم ما يبذلونه للناس

أما أنا فمن يبذلون العطاء ، وأحب أن أعطى الأصدقاء كصديق؛ أما الأبعدون فليتقدموا من أنفسهم لاقتطاف الأثمار من دوحتى فليس فى اقدامهم على الأخذ مافى قبولهم العطاء من مهانة لكرامتهم

غير أنه من اللازب أن يقطع دابر المتسولين لأن فى الجود عليهم من الكدر ما يوازى كدر انتهارهم وحرمانهم

وكذلك هو حال الخطاة وأهل الضمائر المضللة فان تبكيت الضمير يحفز الانسان الى النهش وإيقاع الأذى

وشر من كل هذا الأفكار الحقيرة وخير للانسان أن يسىء عملا من أن تستولى المسكنة على تفكيره

انكم تقولون « إن فى التفكير الملتوى كثيراً من الاقتصاد فى شر الأعمال » وما يستحسن الاقتصاد فى مثل هذا

ان لشر العمل أكلانا والتهاباً وطفحاً كالقروح ، فهو حر وصريح لأنه يعلن نفسه داء كما تعلن القروح ، فى حين ان الفكرة الدنيئة تختفى كالنواحى الفطر وتظل منتشرة حتى تودى بالجسم كله،

ومع هذا فاننى أسر فى أذن من تملكه الوسواس الخناس : « إن من الخير أن تدع الوسواس يتعاظم فيك لأن أمامك أنت أيضاً سبيلا يوصلك الى الاعتلاء »

مما يؤسف له أن يكون جهل بعض الشىء خيراً من إدراك كله ؛ غير أن من الناس من يشف حتى تبدو بواطنه ، ولكن ذلك لا يبرر طموحنا إلى استكناه مقاصده . ومن الصعب أن نعيش مع الناس ما دمنا نستصعب السكوت

إن ظلمنا لا ينزل بمن تنفر منه أذواقنا بل يسقط على من لا يعنينا أمره .

وبالرغم من هذا ، إذا كان لك صديق يتألم فكن ملجأ لآلامه ولكن لا تبسط له فراشاً وثيراً بل فراشاً خشنا كالذى يتوسده المحاربون وإلا فما أنت مجديه نفعاً

وإذا أساء اليك صديق فقل له : انى اغتفر لك جنايتك على ولكن هل يسعنى أن أغفر لك ما جنيته على نفسك بما فعلت ؟

هكذا يتكلم عظيم الحب ، لأنه يتعالى حتى عن المغفرة والاشفاق علينا أن نكبح جماح قلوبنا كيلا تجر عقولنا معها إلى الضلال.

أين تجلى الجنون فى الأرض بأشد مما تجلى بين المشفقين ؟ بل أى ضرر لحق بالناس أشد من الضرر الناشىء عن جنون الرحماء ؟

ويل لكل محب ليس فى محبته ربوة لا يبلغها إشفاقهم

قال لى الشيطان يوماً : إن للرب جحيما هو جحيم محبته للناس

وقد سمعت هذا الشيطان يقول أخيراً : لقد مات الاله وما أماته غير رحمته

احترسوا من الرحمة لأنها لن تلبث حتى تعقد فوق الانسان غماماً متلبداً : وما أنا بجاهل ما تنذر به الأيام

احفظوا هذه الكلمة أيضاً : ـ إن المحبة العظمى تتعامى عن رحمتها فان لها هدفها الأسمى وهو خلق من تحب

ـ إننى أقف نفسى على حبى ، وكذلك يفعل أمثالى : هذا ما يقوله كل مبدع ، والمبدعون قساة القلوب .

هكذا تكلم زارا ...

فليكس فارس

في طريق الوحدة

«محرم» بين السنة والشيعة ...

للأستاذ حسين مروه

أما أن اليقظة الاسلامية قد غمرت دنيا المسلمين على رحبها - فهو مما لا ريب فيه ، وأما أن المصلحين من مختلف الأقوام الاسلامية قد خطوا هذا العام المنصرم إلى الوحدة والتقريب بين القلوب خطوة واسعة مباركة - فهو مما لا يخامرنا فيه أدنى هاجس من الشك ، ولسنا اليوم بصدد التدليل على هذا كله ، ولسنا كذلك نحاول أن نذهب فى تصوير الأمر مذهباً يُغَشى على الحقيقة فنجنى الجناية الكبرى على هذا الأمل المشرق الذى نمشى على هداه إلى المثل الكريم الأعلى الذى ننشده

لقد عمل المصلحون فى الآونة الأخيرة كثيراً ، واستطاعوا أن ينشئوا خَلقاً جديداً فى المسلمين ، خَلقاً يقول ، إنَّ حوادث التاريخ إذا استحال أن يتغير مجراها فتنقلب عما وقعت عليه فليس من المستحيل أن نغير نحن مجرى أهوائنا المتدافعة ، ونقلب هذه الأفكار السائدة علاقات أهل القرآن رأساً على عقب أو نستبدل بها خيراً منها ، فاذا نحن أمة متكتلة تظلها راية الله العليا ، تلك راية الإسلام الحنيف . ولكنَّ هنالك خَلقا آخر فى المسلمين لما يزل من خَـلْق الأيام الغابرة السوداء ، الأيام التى أخذ الناس فيها بالجانب البغيض من صفحتى التاريخ الاسلامى ، وأعرضوا عن الجانب الحبيب الأغر اللامع ، وهذا الخَـلْق فى المسلمين - وهو كثير وآأسفاه - يجب على المصلحين أن يرحموه ، أن يشفقوا على ذهنيته الضيقة الساذجة فلا يوقرونها بمـا لا تطيق احتماله وهي على هذا الضيق بفهم الأمور ، وأن يأخذوا بيده إلى مشارق النور بهوادة ورفق حتى يلمس الحق هو بنفسه ، وأن يتملقوا أحاسيسه المختولة المخمورة بأغنيات التعصب - وناهيك بالتعصب ضارباً على وتر الأحاسيس الواهنة - ولا يحسبن القارىء الكريم أننى أدعو إلى اتباع العامة ومجاراة أهواء الدهماء ونزعاتها الهوجاء ، فأنا - شهد الله - من أشد الناس نقمة على جماعة العلماء الذين يتملقون السواد ، ويهابون اندفاعات الجماهير ، ويسترون - من أجل ذلك - الحق خشية من غضب هؤلاء عليهم ، فيقطعون معايشهم ويحطمون عروش أمجادهم ، ويؤثرون عرض الحياة الدنيا على أن ينطقوا بكلمة الصدق ويقيموا شعائر الحق . غير أنى - على ذلك - أخشى هذا الفريق من رجال السوء الذين يستغلون ذهنية الجماهير لأنفسهم ويسخرونها لأهوائهم ، فاذا ما تناسى المصلحون شأن الدهماء ، وإذا ما أغمضوا أعينهم عما فى نفوسها من حقير العواطف وفى عقولها من ساذج الادراك ، فقد يقوم هذا النفر المستغل يدعو بالويل والثبور ، ويرفع عقيرته البغيضة نافخا فى الجماهير روح الفرقة ، عاملا على صدع الصف ، ضارباً بآمال المصلحين عرض الأفق فتصبح الآمال الحية أشلاء أباديد ، فيجب على القائمين اليوم بأمر الاصلاح - والحال هذه - أن يقيموا الأوزان للجواهر قبل الاعراض ، وأن يحفلوا باللباب دون القشور ، وأما الأعراض وأما القشور فليس من ضير علينا أن ندع للذين يحفلون بهما أمر ما يحفلون به حتى يتبين لهم أن العرض عرض فينبذونه ، وأن القشر قشر فيطرحونه ؛ وليس من ضير علينا أن نستكفف شر ذلك النفر العائش على تمليق العامة بأن نحسم بعض القضايا التى يتخذها القوم هؤلاء مطية للغرض الأدنى ، ووسيلة لأثارة النعرات المفرقة ، وهيْج العواطف الحانقة .

وفى طليعة هذه القضايا التى يطل رأسها اليوم - ورجالنا المصلحون يجهدون بجمع الشمل ورأب الصدع - قضية تقف بطائفتى المسلمين . السنة والشيعة على مفترق الطريق - والعياذ بالله - بعد أن كان يغمرنا موج من الفرح لهذه الظاهرات المباركة الطالعة علينا هنا وهناك ببشائر الوحدة الاسلامية المنشودة ، ذلك أننا اليوم - حين نكتب هذه الكلمة - نعيش فى شهر من الشهور التى تحمل إلينا من ذكريات الماضى البعيد صورا ذات ألوان مختلفة . وأشكال متباينة فى ظاهر الأمر ، وإن هى كانت فى الجوهر والروح ، وفى نظر الذين يزنون الاسلام بميزانه الصحيح متسقة أحسن الاتساق ، منسجمة أكمل الانسجام .

إننا اليوم فى شهر محرم الحرام ، وشهر المحرم هذا ذو صفحتين من الذكرى كلتاهما ذات خطر عظيم ، وكلتاهما ذات شأن كبير فى نفوس المسلمين ؛ ففى إحدى صفحتيه يحمل ذكرى هجرة المنقذ الأعظم ، رسول الله ، محمد بن عبد الله ، عليه صلوات من ربه وبركات ، ذكرى هجرته إلى يثرب حيث قامت سوق الاسلام وعمرت ، وحيث استفاضت أنوار الشريعة الغراء لألأة الرواء ، ضافية البهاء ، ثرّة الأضواء ؛ ويحمل فى صفحته الأخرى ذكرى عاشوراء ، ذكرى حادثة الطف الدامية حيث استشهد ريحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحسين بن علي مجاهداً فى سبيل الحق ، وحيث نجم — لأول مرة — قرن الانقلابات الخطيرة ، والثورات الداخلية الجيّاشة .

هاتان صفحتان من الذكريات الاسلاميـة ذات الشأن يحملهما شهر المحرم ، ويطلع بهما على المسلمين ، فتستقبله طائفة من ناحيته الأولى فتجعل يوم مطلعه عيداً ميمون النقيبة ، محمود الأثر ، أغر الجبين ، وتستقبله طائفة من ناحيته الثانية فتجعل يوم استهلاله مأتماً قاتم اللون ، أغبر الوجه ، دامى القلب ؛ وتنظر - من بعد - كل طائفة إلى أختها النظر الشزْر ، وتتباعد وجهة النظر ، وتتسع شقة البين ، ويطلُّ النفر المستغل برأسه وينفخ فى بوقه ؟ وهذا هو الشر المستطير الذى نريد أن نكفكف من عاديته فى وجه الحركة الإصلاحية القائمة اليوم ، وهذا هو الأمر الجلل الذى نحاول أن يخفف المصلحون من سورته ، وها أنذا أضع - فى ختام هذه الكلمة - اقتراحاً على رجالنا العاملين فى حقل الوحدة الاسلامية ، أرجو أن يجدوا فيه حلا حاسما لهذه القضية التى يرى القارىء خطورتها . وأرجو إلى إخواننا علماء الأزهر المصلحين أن يقولوا كلمتهم فى « الرسالة » الكريمة حول هذا الباب ليرى العالم الاسلامى رأيهم المحترم المرموق بالتقدير :

يجمع المؤرخون - ياسادتى - على أن مقدم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة كان فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول ، أى بعد أول المحرم بشهرين واثنى عشر يوماً ، كما جاء فى تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢٥٣ باب (ذكر الوقت الذى عمل فيه التاريخ) ، وفى مروج الذهب للسعودى ج ١ ص ٤٠١ ، وفى غيرهما من مصادر التاريخ الاسلامى الموثوق برواياتها ؛ وتدل الروايات فى هذا الباب على أن أول من أمر بالتاريخ فى الدولة الاسلامية هو الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ، وأنه هو اختار هجرة النبى صلى الله عليه وسلم مبدأ للتاريخ الاسلامى ، وقال يومئذ كلمته الصادقة الحكيمة حيث جمع الناس للمشورة ، فقال بعضهم : أرخ لمبعث رسول الله ، وقال بعضهم : أرخ لمهاجر رسول الله ، فقال : « لا بل نؤرخ لمهاجر رسول الله فان مهاجره فرق بين الحق والباطل » ، وتدل هذه الروايات نفسها كذلك أنه هو — عمر — اختار شهر المحرم مبدأ لشهور السنة الهجرية قائلا أيضاً : نبدأ بالمحرم « فهو منصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام » والحق فيما قال من هذه الناحية ، غير أننى أقول الآن :

مادام قد وقع الاختيار على بدء السنة الهجرية بشهر المحرم لهذا الغرض الذى جاء فى كلام الخليفة الثانى الكريم ، وجرت على ذلك السيرة فى عصور الإسلام جمعاء ، فلتبق هذه السيرة مستمرة ولا ضير ، ولا نريد أن نبدع بدعاً فى هذا ، أما ذكرى الهجرة نفسها ، الذكرى التى هى لا غير مبعث تقديس المسلمين لرأس السنة الهجرية ، وهى التى يحتفلون بها ، ويجعلون يومها عيدا كريما مباركا — أقول : أما هذه الذكرى نفسها ، فليس من غضاضة فى أن يكون الاحتفال بهـا ، وأن يكون عيدها الميمون فى يومها الذى وقعت فيـه الهجرة النبوية الشريفة على التحقيق ، فى يومها التاريخى الصحيح حيث يكون عيدا للمسلمين كافَّة : يشتركون بأفراحه ، ويتبادلون مظاهر السرور ، ومجالى الاغتباط . وإذا ما جاء شهر المحرم - من بعد - اشتركوا جميعاً كذلك فى مشاعر الألم ، وهواجس الحزن للمأساة الاسلامية الرائعة التى تمثلت فى طف كربلاء ، وكرموا نبيهم صلى الله عليه وسلم بالتأسى به إذ جاء فى الأسانيد الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم كان يستشعر الحزن فى هذا الشهر : شهر المحرم ، فنكون بذلك قد وضعنا حجر الزاوية فى بناء الوحدة الاسلامية المرجوّة ، ولا نكون قد فرطنا فى شىء من ما جريات التاريخ ، ولا نقضنا شعيرة من شعائر السلف أو حرمة من حرمات الاسلام .

فما قولكم ياسادتى ؟ ؟

النجف حسين مروه

الزهــاوى

فى أوائل أيامه وأواخرها

للسيد صلاح الدين عبد اللطيف الناهى

كنت فى السابعة أو الثامنة من عمرى يوم كان يستلفت نظرى شيخ هزيل نحيف ، مرسل الشعر على الأكتاف . يمتطى صهوة حمار حساوى أبيض ويمشى فى ركابه خادم لا يتغير ، وكانت سيماء الشيخ ومطيته تدلان على أنه من أعيان بغداد فقد كان الحمار مطية لا تزرى براكبها قبل ان تديل دولة « الميكانيك » من دولة الحيوان

ومرت فترة من الزمن فهجر الشيخ حماره واتخذ له « عربانة » تقطع به عرض الشارع العام « شارع الرشيد » ، وهو يطل منها على الناس أو يراقب الطير حائما فوق مآذن بغداد الشامخة وقبابها الزرق ، أو يحرك شفتيه بشعر

وسألت ذات يوم : من يكون هذا الشيخ وماله يهدل خصائل شعره شأن أحبار اليهود ؟ فقيل لى انه فيلسوف . فلم أفهم ما يريدون ولكن كتمتها فى نفسى كمن اقتنع بالجواب

ثم قل اهتمامى به لكثرة ما اعتدت رؤيته بعد ذلك ، ولم أكن أقدر ان اعتنائى به سيزداد يوما من الأيام . ولكن العمر تقدم بى قليلا فعرفت قدر الشيخ الفيلسوف ورضت نفسى على قراءة ما وقع فى يدى من آثاره فبدا لى من أمره ما كنت أجهل

وكان الناس يومئذ فريقان فريق يدعو له ويكبر شأنه ، وفريق ينكر أمره ويتبرم به ويرميه بالزندقة والالحاد . وكان هو محور هذا التطاحن العنيف بين هذين الفريقين . وانك لتلمس فى شعره هذا التطاحن اذا قرأته وتلمس تبرمه بجمود الجمهور وجهالة الجمهور ، ولكنه لم ييأس ولم يتمثل بقول القائل :

غزلت لهم غزلا رفيعاً فلم أجد لغزلى نساجاً فكسرت مغزلى

بل التزم دائما سبيل الجهر بآرائه والدعوة لها وانك لتعجب من بسالة هذا الشيخ المتهدم يوم كان يدعو الى التحرر والى التجدد ويجاهر برأيه فى المرأة :

يرفع الشعب فريقا ن أناث وذكور
وهل الطائر إلا بجناحيه يطير

***

ليس يأتى شعب جلائل مالم تتقدم أناثه والذكور

***

مزقى يا ابنة العراق الحجابا واسفرى فالحياة تبغى انقلابا

ويجاهر برأيه فى الدين :

تحيرت لا أدرى أمام الحقائق أأنى خلقت الله أم هو خالقى

فتضج الناس بالشكوى وتتبرم ويضيق به الأمر فيلزم داره أو يهجر بلده ويودع ليلاه لائذاً بمصر من غضب الناس نادباً لياليه فى بغداد ولكنه لم يلبث أن يجهر برأيه هنا وينشد القوم :

وسائلتى هل بعد أن يعبث البلى بأجسادنا نحيا طويلا ونرزق

... ...

وهيهات لا ترجى حياة لميت إليه البلى فى قبره يتطرق
تقولين يفنى الجسم والروح خالد فهل بخلود الروح عندك موثق

فتنزى الشيوخ من الغيظ ويثور الجمهور فاذا بالناس فريقان فريق له وفريق عليه حتى يضيق به الأمر فيعود إلى بلده وقد سكن روع الناس وعز عليهم أن يلجئوا الشيخ إلى الفرار فيناله المكروه فى سبيل ذلك وهو الشاعر الذى ينطق بآمالهم وآلامهم ويحفزهم إلى المجد ، غير مبال بعوده الذابل وجسمه الذاوى . حتى ألف الناس منه هذه البسالة والجرأة والتف حوله الشباب وهو يدفع بهم إلى الثورة ويلوح لهم بكل جديد فى الرأى وطريف فى الفكر تلويحاً يدفع به أحياناً إلى تحميل الشعر والأدب مالا طاقة لهما به فيزج العلم فى ساحة الشعر فيمهد بذلك السبيل لخصومه ومنكرى شاعريته فيحتجون عليه بمثل قوله :

ليست الشمس من الشر ق إلى الغرب تدور
إنما الأرض من الغر ب إلى الشرق تسـير

وما كان بالعلم من حاجة إلا من ينظمه لنا شعرا إلا حاجة فى نفس الشيخ قضاها

ولقد كنا نقرأ له القصيدة فنلمس وجدان الشاعر الموهوب فى ألفاظ الشاعر المطبوع وأفكار الشاعر الفيلسوف فنطرب لها ، ثم نقرأ له القصيدة وقد أقحم فيها العلم اقحاما فنقف نافح الخصوم عما فيها من نظريات وآراء تلهيهم بذلك عن زلة الشاعر ونخرج بهم من نقد هذه الزلة إلى تأييد الفكرة والبرهان وننعى عليهم جمودا فى الراى وضيقا فى الصدر ولولا تجاوزهم حدود النقد إلى التحامل لما تجاوزنا حدود الدفاع إلى المكر .

وإذا كان فى اختيار الألفاظ الجزلة للمعانى السامية ما يدل على

صفاء نفس الشاعر وطول باعه ودقة احساسه وتمييزه وقع الألفاظ وموسيقاها فقد كان شاعرنا فى اختيار الألفاظ والنواسى فرسى رهان . وهو الذى يشير إلى ذلك بقوله :

إذا هلكت نخطوا جنب النواسى قبرى
إنى أمت إليـــه وإن تأخر عصرى

على أنه يختلف بعد ذلك عن أبى نواس فى ميله من الدعابة والعبث إلى الفلسفة والحكمة ، فهو يغوص وراءها فى كل لجة ويأتى بها بكرا لم تقع العين على مثلها ، وهو بذلك يقتفى خطى المعرى . وبذلك يقول :

إنى تتلمذت فى بيتى عليك وان أبلت عظامك أزمان وأزمان

وهو يقتفى أيضا خطى الشاعر الخيمى[1] لا فى مجونه وإنما فى حكمته وشكه ويقينه ، وحسبك أنه عمد إلى رباعياته فترجمها إلى العربية نظما

واشتقت مرة أن أحادث الشيخ الفيلسوف وأتعرف به قبل أن تختطفه المنون فلما اجتمعت به أبصرت أمامى هيكلا من الأعصاب الثائرة يكسوها جلد مجعد ، ورأيته يرجحن فوق ساقين هزيلتين ماتنفكان تضطربان من الشلل

وقد أحاول أن أسعى فتمنعنى · رجل رمتها يد الأقدار بالشلل

فهو ينتفض بين الآونة والآونة فيتجهم وجهه ثم تنبسط أساريره ويتمتم قائلا : أعصابى ! ثم ينصرف إلى محدثه فيما كان فيه ، وأذكر أننى ما كدت ابدأه بالتحيه حتى قال لى :

« يا بنى تسمع بالمعيدى خير من أن تراه »

ثم لم يلبث أن قرأ لنا قصيدته « احساساتى » فاجتمعت حوله حلقة كبيرة من مريديه والمعجبين به وفى ذلك بنكات بارعة وروى لنا أنه قرأ بين يدى جلالة الملك الراحل « ثورته فى الجحيم » ، وما زال بين نكتة وارتجاجة حتى انتصف النهار فودعنا وامتطى (عربانته) إلى داره . ومرت أيام فنعى الينا الشيخ ووقع ما كنا نخشاه .

مات الشيخ ولكن السبيل الذى كان يدعو إليه هانت صعابه وتطامنت وهاده

وبالرغم مما كانوا يتهمونه به من مروق فى الدين فقد قال :

عبدتك لا أدرى ولا أحدرى أسرك أم صدر الطبيعة أوسع
عبدت اسمك المحمود فى الليل والضحى إذا الشمس تستخفى إذا الشمس تطلع
فأيقنت أن الكون بالله قائم وانك نور والحقيقة برقع

وقال :

أنا هـــذا فلا أبالى إذا ما أجمعت ثلة على تكفيرى
أهل عصرى لا يفقهون حديثى حبذا لو أتيت بعد عصور

وشيخنا فى تقلبه بين الشك واليقين إنما ينحو منحى بعض الفلاسفة الذين مروا فى تفكيرهم بأزمات فانكروا وآمنوا وهو فى كل مرحلة إنما سجل ما جاش بنفسه فجاء شعره صدى أطواره فى هذه الأزمات .

والمرء يخلق طوراً بعد أطوار

وبعد فان الصدق فى الرواية يحتم على أن أقول إن ما أثبته هنا من أبيات لم أرجع فيها إلى دواوين الشيخ فقد خلفتها فى بغداد ، وإنما هى مما علق بالذاكرة ، وما أكثر ماتخوننى الذاكرة ، فأضع كلمة مكان كلمة متى استقام لها المعنى ولو كنت فى زمن الرواية والحديث لما أبحت لنفسى أن أروى حديثاً فلتغفر لى روح الفقيد ما أكون قد وقعت فيه وتغمد الله روحه برحمته

صلاح الدين عبد اللطيف الناهى

(1) عمر الخيمى الشاعر المعروف ويسميه بعضهم خطأ بالخيام وقد جاء :
إن كنت ترعين ياريح الصبا ذممى فاقرئى السلام على العلامة الخيمى

٦ - دعابة الجاحظ

للأديب محمد فهمى عبد اللطيف

... وإنى لأعجب للجاحظ كيف اتسع وقته واتسع قلبه لكل هذا الضحك والأضحاك من الناس، فكأنه كان رقيباً يرقبهم فى كل ناحية من نواحى نقصهم، ليعود من وراء ذلك بالنادرة الطيبة، ويفوز بالفكاهة الضاحكة، وينثنى بالملحة البارعة، فهو يتسقط جهد طاقته - حيلة المتطفل، وحجة البخيل، ونحلة الأكول، وخفة الأبله، وسخافة الغبى، وغباوة الأحمق، ووقاحة الدعى، وتقعر المتعالم، وعنجهية الأعرابى، وملحة الأديب، وظرف النديم، فاذا ما أجرى ذلك وأشباهه على لسانه، أو تناوله بقلمه، وأخرجه على طريقته، وطبعه بأسلوبه، وأفرغ عليه من روحه وقلبه، فانه لاشك يستولى على لبك، ويهيج نشاطك، ويدفعك إلى الضحك دفعاً، وينتقل بك إلى روضة أريضة بالبشر والطلاقة، والشواهد لذلك كثيرة فى كتب الرجل وفيما تلقفه عنه الأدباء وأهل الرواية. حدث فيما حدث به عن بخل محمد بن أبى المؤمل وشدة حرصه وإقتاره فقال: واشترى - أى ابن أبى المؤمل - مرة شبوطة(١) وهو ببغداد، وأخذها فائقة عظيمة وغالى بها وارتفع فى ثمنها، وكان قد بعد عهده بأكل السمك وهو بصرى لا يصبر عنه، فكان قد أكبر أمر هذه السمكة لكثرة ثمنها ولسمنها وعظمها، ولشدة شهوته لها، فحين ظن عند نفسه أنه قد خلا بها، وتفرد بأطايبها، وحسر عن ذراعيه، وصمد صمدها، هجمت عليه ومعى السدرى، فلما رآه رأى الموت الأحمر والطاعون الجارف، ورأى الحتم المقضى، ورأى قاصمة الظهر وأيقن بالشر، وعلم أنه قد ابتلى بالتنين، فلم يلبثه السدرى حتى فور السرة بالمبال، فأقبل على فقال لى يا أبا عثمان: السدرى يعجبه السدر! فما فصلت الكلمة من فيه حتى قبض على القفا فانتزع الجانبين جميعاً، فأقبل علىّ فقال: والسدرى يعجبه الأقفاء، فما فرغ من كلامه إلا والسدرى قد اجترف المتن كله! فقال يا أبا عثمان: والسدرى يعجبه المتون! ولم يظن أن السدرى يعرف فضيلة ذنب الشبوط وعذوبة لحمه، وظن أنه سيسلم له، وظن معرفة ذلك من الغامض، فلم يدر إلا والسدرى قد اكتسح ما على الوجهين جميعاً!! ولولا أن السدرى أبطره وأثقله وأكمده وملأ صدره غيظاً لقد كان أدرك معه طرفاً لأنه كان من الأكلة، ولكن الغيظ كان من أعوان السدرى عليه، فلما أكل السدرى جميع أطايبها وبقى هو فى النظارة، ولم يبق فى يده مما كان يؤمله فى تلك السمكة إلا الغيظ الشديد والغرم الثقيل ظن أن فى سائر السمكة مايشبعه ويشفى من قرمه، فبذلك كان عزاؤه وذلك هو الذى كان يمسك بأرماقه وحشاشات نفسه؛ فلما رأى السدرى يضرى القرى ويلتهم التهاماً قال: يا أبا عثمان السدرى يعجبه كل شىء، فتولد الغيظ فى جوفه، وأقلته الرعدة فخبثت نفسه، فما زال يقىء ويسلح ثم ركبته الحمى وصحت توبته وتم عزمه فى ألا يؤاكل رغيباً أبداً ولا زهيداً، ولا يشترى سمكة أبداً رخيصة ولا غالية، وإن أهدوها إليه لا يقبلها، وإن وجدها مطروحة لا يمسها(١)

فالجاحظ فى هذه النادرة البارعة يحاول أن يدخل على نفسك من كل جهة، وأن يهز قلبك بالضحك فى تهويله وإغراقه، فهو يبسط لك فى العبارة، ويرادف الجمل على المعنى الواحد فاذا به يبهرك بصور معروضة لا بألفاظ مسرودة. وخذ بالنظر الى هذه النادرة التى بين أيدينا، فأنت فى ضحك بالغ من اغراق الجاحظ فى تصوير بخل ابن أبى المؤمل حتى أنه لما رأى السدرى « رأى الموت الأحمر والطاعون الجارف! ورأى الحتم المقضى! ورأى قاصمة الظهر! وأيقن بالشر! وعلم أنه قد ابتلى بالتنين!! وأنت أيضاً فى ضحك بالغ من نهاية هذا الرجل تلك النهاية الأليمة: اذ « تولد الغيظ فى جوفه، وأقلته الرعدة، فخبثت نفسه فما زال يقىء ويسلح!! ثم ركبته الحمى!! وصحت توبته وتم عزمه فى أن لا يؤاكل رغيباً ولا زهيداً، ولا يشترى سمكة أبداً رخيصة ولا غالية، وإن أهدوها اليه لا يقبلها، وإن وجدها مطروحة لا يمسها!! »، ثم أنت فى ضحك من صنيع السدرى وهو يفور السرة، ويقبض على القفا، ويجنزف المتن، ويكتسح ما على

(١) الشبوط نوع من السمك دقيق الذنب عريض الوسط لين المس تحدث عنه الجاحظ فى كتابه الحيوان وهو كثير فى دجلة.

(١) البخلاء ص ٨٣

الوجهين جميعا ، ثم وهو يقرى القرى ويلتهم التهاما !! ولقد كان السدرى من الأكلة ، وهو من الأشخاص الذين أولع الجاحظ بالتنادر عليهم ، وأغرق فى الضحك منهم ، ومع ذلك فكان يجالسه ويحادثه ويجاذبه الرأى والفكاهة ، فقال له يوماً : اذا كانت المرأة عاقلة ظريفة كاملة كانت قحبة ! فقال السدرى : وكيف ؟ قال : لأنها تأخذ الدراهم ، وتتمتع باللباس والطيب ، وتختار على عينها من تريد ، والتوبة معروضة لها متى شاءت ! فقال السدرى : فكيف عقل العجوز ؟ قال : هى أحمق الناس وأقلهم عقلا !!

على أن السدرى وهو على ما رأيت فى الشره والجشع لم يكن فى الأكلة بسباق الحلبة ولا هو بكبش الكتيبة فى رأى الجاحظ وتقديره ، وانما كان يقدم فى ذلك قاسما التمار ، وكان قاسم هذا - كما يقول الجاحظ - شديد الأكل شديد الخبط قذر المؤاكلة ، وكان أسخى الناس على طعام غيره وأبخل الناس على طعام نفسه ؛ وكان فى مؤاكلته يعمل عمل رجل لم يسمع بالحشمة ولا بالتجمل قط . وكان يجلس على طعام ثمامة بن أشرس فكان لا يرضى بسوء ادبه حتى يجر معه ابنه ابراهيم ، وكان بينه وبين ابنه فى القذر بقدر ما بينه وبين جميع العالمين ، فكانا اذا تقابلا على خوان ثمامة لم يكن لأحد على ايمانهما وشمائلهما حظ فى الطيبات (١) ، وكان قاسم الى جانب ذلك سخيفاً مغفلا غبياً ، وقد حفل الجاحظ بأخباره ونوادره فأورد بعضاً من حوادثه فى الهجوم على خوان ثمامة وفتكه به فى كتاب البخلاء (٢) ، كما اورد طرفاً من سخافاته وحماقاته فى البيان والتبيين (٣) ، وما أطيبه وهو يضحك من جهله اذ يقول فى باب اللحن : وقال بشر المريسى : قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه وأهنؤها ! فقال قاسم التمار : هذا على حد قوله :

إن سليمي والله يكلؤها ضنت بشىء ما كان يرزؤها

قال الجاحظ : فصار احتجاج قاسم أطيب وأضحك من لحن بشر !! (٤) ، ولولا التحرج لأوردنا شيئا من نوادر الرجل ومضاحيكه التى أحصاها الجاحظ عنه ، فان فيها مايعف القلم عن ذكره ، ولا يصح أن ينشر مطويه فى مجلة سائرة ! على أنها طيبة تفيض بالضحك وتحمل عليه !!

والجاحظ ولوع ببعض الأشخاص يتعقب أخبارهم فى الضحك والعبث ، ويذكرهم بأوصافهم فى كل مناسبة داعية ، فكما أنه يتندر على الكندى وابن أبى المؤمل وسهل فى البخلاء ، والسدرى وقاسم التمار فى الأكلة ، فهو يذكر كثيراً كيسان مستملى أبى عبيدة فى أهل البلادة ، ولقمان الممرور فى أصحاب الغباوة ، وريسموس اليونانى فى الموسوسين ، وأبو حية النميرى فى المجانين ، وريطة بنت كعب فى الخرق ، ومالك بن زيد مناة فى النوكى ، وابن فنان فى المدخولين . وإنه ليطربك ويضحكك وهو يضحك من مستملى أبى عبيدة فى غفلته وبلادته ، قال الجاحظ : فكان يكتب غير ما يسمع ، ويقول غير ما يكتب ، ويستملى غير ما يقرأ ، ويملى غير ما يستملى . أمليت عليه يوماً :

قلت لمعشر عدلوا بمعتمر أبا عمرو !

فكتب أبا بشر ، وقرأ أبا حفص ، واستملى أبا زيد ، وأملى أبا نصر (١) ! قلت وإذا كان فى هذا الوصف ما يحمل على الضحك ، فليس ببالغ من ذلك ما يبلغه وصف الجاحظ أيضا لغباوة أبى لقمان الممرور إذ يقول : وسأل بعض أصحابنا أبا لقمان الممرور عن الجزء الذى لا يتجزأ ما هو ؟ فقال : الجزء الذى لا يتجزأ على ابن أبى طالب عليه السلام ، فقال له أبو العيناء : أفليس فى الأرض جزء لا يتجزأ غيره ؟ قال : بلى ! حمزة جزء لا يتجزأ ! قال فما تقول فى أبى بكر وعمر ؟ قال أبو بكر يتجزأ ! قال : فما تقول فى عثمان ؟ قال : يتجزأ مرتين ، والزبير يتجزأ مرتين ، قال : فأى شىء تقول فى معاوية ؟ قال : لا يتجزأ !! قال الجاحظ : فقد فكرنا فى تأويل أبى لقمان حين جعل الأنام أجزاء لا تتجزأ إلى أى شىء ذهب ؟ فلم نقع عليه إلا أن يكون أبو لقمان كان إذا سمع المتكلمين يذكرون الجزء الذى لا يتجزأ هاله ذلك وكبر فى صدره وتوهم أنه الباب الأكبر من علم الفلسفة !! وأن الشىء إذا عظم خطره سموه بالجزء الذى لا يتجزأ !! ، (٢)

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر كما يقولون ، فما أشبه أبا لقمان فى غفلته وجهله بعبيد الكلابى . وقد سأله الجاحظ : أيسرك أن تكون هجيناً ولك ألف دينار ؟ فقال : لا أحب اللؤم بشىء !

(١) البخلاء ص ١٦٧ (٢) ص ١٦٦ ، ١٦٧
(٣) ص ٢١٨ حـ ٣ (٤) البيان والتبيين حـ ٢ ص ١٥٧

(١) جمع الجواهر للحصرى ص ٣٠٣
(٢) الحيوان للجاحظ

قال الجاحظ : فقلت له : إن أمير المؤمنين ابن أمة [(١)] ؛ فقال : أخزى الله من أطاعه ، فقلت : نبي الله إسماعيل ابن أمة ! فقال : لا يقول هذا إلا قدَرى ! فقلت : وما القدرى ؟ فقال : لا أدرى إلا أنه رجل سوء ! !

وللجاحظ كثير من المضاحيك السائرة والنوادر الذائعة التى نقلها عنه الرواة ؛ فمن ذلك ما رواه أبو بكر بن إسحاق قال : قال لى إبراهيم بن محمود ونحن ببغداد : ألا تدخل على الجاحظ ؟ فقلت مالى وله ! فقال : إنك إذا انصرفت إلى خراسان سألوك عنه فلو دخلت إليه وسمعت كلامه ؟ فدخلت عليه فقدم لنا طبقاً من الرطب فتناولت منه ثلاث رطبات وأمسكت ، ومرَّ فيه إبراهيم فأشرت إليه أن يمسك ! فرمقنى الجاحظ فقال لى : دعه يا فتى فقد كان عندى بعض إخوانى فقدمت إليه الرطب فامتنع فحلفت عليه فأبى ألا أن يبرَّ قسمى بثلثمائة رطبة ! !

وقال أبو العيناء : كان الجاحظ يأكل مع محمد بن عبد الملك الزيات فجاؤا بفالوذجة [(٢)] فتولع محمد بالجاحظ وأمر أن يجعل من جهته مارق من الجام ، فأسرع فى الأكل فنظف مابين يديه !! فقال ابن الزيات : تقشعت سماؤك قبل سماء الناس يا أبا عثمان ؟ فقال الجاحظ : لأن غيمها كان رقيقا ! !

وأدعى إلى الضحك من هذا ما حدث به الجاحظ فقال : كان يحضر الىَّ رجل فصيح من العجم فقلت له : هذه الفصاحة وهذا البيان لو ادعيت فى قبيلة من العرب لكنت لا تنازع فيها ، فا جابنى إلى ذلك ! فجعلت أحفظه نسباً حتى حفظه وهذّه هذّا ، فقلت له : الآن لا تته علينا ! فقال : سبحان الله ان فعلت ذلك فأنا اذاً دعي ! !

وشبيه بهذا الأعجمى المتفاصح ذلك القاص المتعالم الذى أشار اليه الجاحظ فقال : وكان عندنا قاص أعمى ليس يحفظ من الدنيا الاحديث جرجيس ، فلما أخذ فيه بكى واحد من النظارة فقال القاص : أنتم بأى شيء تبكون ؟ ! انما البلاء علينا معاشر العلماء ! !

فالجاحظ لا شك كان رجلا ضُحَكَة ضُحْكَة ، ومضاحيكه كما قلنا ــ تملك اللب ، وتهتاج النشاط ، وتدفع الى الضحك دفعا ...

« له بقية » محمد فهمى عبد اللطيف

(١) يريد به الخليفه المعتصم إذ كانت أمه جارية
(٢) حلوا، تعمل من الدقيق والماء والعسل وكأنها المعروفة الآن بالبالوذ.

حديث الأزهار

للكاتب الفرنسي ألفونس كار
ترجمة ف . ف

زهرة مقصوفة

ترطبت أهدابى بدموع الفجر ، ففتحتُ عينى لأوائل أشعة الشمس .

مرت بى عند الصباح غادة استوقفها جمالى فخدجتنى بنظرات الاعجاب فابتسمت لها

وأمرت الغادة يدها الناعمة على وريقاتى فارتعشت ، وأسكرتنى اللذة ، لكنها لم تطل حتى شعرت بعدها بألم هائل اخترق أحشائى ، فأحنيت الرأس ذليلة على غصنى المقصوف

***

لِمَ لَمْ تقطفى تويجى ، أيتها الغادة ، لماذا قصفت غصنى فتركتنى بين الحياة والموت ، وقد كان فى إمكانك أن توسدينى نهدك فأرقد عليه بسلام .

إن دمى يسيل ببطء من جرحى المفتوح ، وصقيع الموت يلوّح وريقاتى بالاصفرار . وقد انطبق تويجى منقبضاً على أوجاعه

أتوقف النسيم عن مداعبة الأغصان ؟ إننى لم أعد أسمع لأجنحته عليها حفيفاً . وهل صمتت الأطيار ؟ فقد انقطع عن مسمعى تغريدها .

أين شعاع الشمس ؟ إننى لم أعد أراه . ويلاه ! أخبرننى ، أيتها الرفيقات ، هل تلاشى النور وساد الظلام ؟ .

***

لا ، إن الليل لم ينشر أجنحته بعد ، ولكنها أشباح الموت السوداء تنطبق علىّ ، فسوف لا أرى لمعان النجوم فى قبة الفضاء ولا أفتح وريقاتى لاقتبال ندى الفجر

ستتساقط بقاياى مبددة على التراب وترتفع روحى إلى الأعالى تاركة أريجى عالقاً بالأثير .

سوف ينتصب شبحى المتألم بوجهك ، أيتها الغادة ، سوف يثأر لى ضميرك منك ، فتتألمين لقسوتك علىّ وإهمالك للضحية البريئة .

***

غفر الله لك ، ووقاك من يد تغشاك بالأمل لتتركك فريسة الإهمال . أبعد الله عنك آلام الزهرة المقصوفة ! أيتها الفتاة !

بين حب جديد

وسلوة عن قديم

للعالم الشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين

فرغ القلب من عسى ولعلاّ   فسلامٌ على غرامٍ تولّى
وخلا للهوى الجديد فؤادي   مرحبا بالهوى الجديد وأهلا
ليت شعري هل المُنَى فيه تدنو   فكفاني ما ذقتُ في الحبّ قبلا
يا لَقلبٍ ما قرّ حتى تداعى   ولدمعٍ ما غاضَ حتى استهلا
فدعي يا حبيبةَ الأمس قلبي   لوَصُولٍ تجزي المودّةَ مِثلا
تعرف الصبّ كيف يقتله الحـب فرقّت ولم تزدْ فيه قتلا
لم تُطِعْ فيه عاذلاً وإذا ما   صدق الحب لم يُطعْ فيه عذلا
وإذا ما بذلت غاليَ حبٍّ   بذلت من فؤادها الحبّ أغلى
وإذا ما نما هواها بقلب   لم تُمِتْهُ بالصدّ تيهاً ودَلا
لا كتلك التي إذا نبتَ الحـب بقلبٍ أذوَته ضنًّا وبخلا
تحسب الصدّ والجفاء يزيدا   ن فؤادي بها غراما وشغلا
ما درتْ أنّ صدّها وطّنَ القلـبَ على طول بُعدها فتسلّى (١)
فاطويا ذكر ذلك العهد عني   نَهِلَ القلبُ (٢) بالسلوّ وعلا
إيه يا جفنُ كم تساهدُ نجمَ الليـل حتى مَلِلتَ والنجمُ مَلا
إيه يا ليلُ كم حَمَلتَ من الشكو   ى وبثّ الشجونِ ما شقّ حملا
فأطلتَ المقامَ ترثي لحزني   وحشدتَ النجومَ حوليَ أهلا
كم تواسي المحزونَ بالدمع حتى   تدع الزهر بالندى مُخضلا (٣)
فكلانا راثٍ لبثّ أخيـه   وكلانا عن عهده ما تخلّى
إيه يا دمعُ كم تفيضُ لذكرى   لمحةٍ لن ترى لها الدهرَ ظِلاّ
ذهبتْ كالحباب أومثلما جففَ حـر الشعاع في الروض طَلاّ
ومضت كالخيال في غفوة العُمْـر فهلاّ عزّيتَ قلبك هلاّ
إيه قلبي كم فرقةٍ ذقتَ حتى   كدتَ تسلو الهوى فراقا ووصلا
غير أنّ الهوى حياةٌ لقلب   غرَسَ الحبّ فيه مذ كان طِفلا
إنّ قلبا لم يُحيه الحب ميْتٌ   لا ترى فيـه للحياة محلا
وإذا الشعر لم يُفِضه غرامٌ   يَصهرُ النفسَ بالجوى كان هزلا
فأعزّي بصادق الحبّ شعري   كم أهنتُ القريضَ في حب من لا..
وأفيضي عليّ صفوا من الحـب أُفِضْه صفوا من الشعر جزلا

احمد الزين

(١) تسلى : سلا .
(٢) النهل والعل : الشرب الأول والثاني .
(٣) مخضلا : مبتلا .

نحن والماضي

للأديب عبد اللطيف النشار

قضت أم أوفى ، بلّ الغيث قبرها   فعدّ عن الدراج فالمتثلم
وأخلى الفراعين الكرام مقامهم   لأشبه منهم بالحياة وأعظم
أمن نسل مينا أنت أم نسل جرهم   إلى أي فرعي دوحة المجد تنتمي ؟
يقول حصيف الرأي من نسل آدم   له صبر مصري وإيمان مسلم
أفخراً بأن راضوا قوياً منعماً   ولا فخر في إحياء شلو محطم
عفاء على الدنيا إذا كان ما مضى   نهاية شعب تائق متوسم
مضى ما مضى ، الاسلام ورحمة   سـلام وفاء لانفجع أيم
ولسنا من الماضين أدنى مكانة   ولا كان أوفى الفضل للتقدم
ورثت زهيراً شعره ومكانه   وما مال نسل وارث بمحرم
فما وقف الماضون مجداً ليحبسوا   على غير أحفاد لهم كل مغنم
ولكن مجدنا ملكهم فهو مجدنا   ولم يبق منهم غير ذكرى وأعظم
ألا أيها الجاثي على قبر هالك   تعز فان الدمع أغلى من الدم
تعز يعش ما بين جنبيك قلبه   فما مات ذو نسل عزيز مكرم
ولا عاش من لا ينطوي في ضلوعه   سوى زفرات الآسف المتندم
ومن كان ماضيه نهاية جاهه   يعش في سديم من دجى الهم مظلم
بداية عمر المرء إشراق شمسه   وكم من شموس ليس يدركها العمي
فخرت برمسيس ورمسيس جثة   فخارُك أن تحيا بعزم مصمم
يفاخر بالأحياء حي ويزدهي   بمن مات ذو قلب كسير مهضم
لعمري لقد جفت سنابل يوسف   وحامت على أبقاره أم قشعم

لقد أنقذ الأحرار من رق يوسف
بما أنشأوا فى كل أرض وعيلم
وأسراب طير من حديد محدم وغائصة فى غائر القاع مظلم
وما الحرب إلا عزة واستطالة فلا تنقضوا حكم القضاء المحتم
ولا تحسبوا فى السلم غنما لحالم ألا ضل رأى الآمل المتوهم
يراد أخاء دائم وسلامة
ومن يرج معسولا من العيش يحرم
بلادى عداك الذم لست بخيلة فجودى فإلا تفعلى اليوم تندمى
أنترك للأحلاف أن يدفعوا العدا
اذا غزيت مصر بجيش عرمرم
معاذ العلا ان يحمى النيل فى الوغى
سوى كل مصرى على الموت مقدم
هو العهد عهد الحرب لا كلفاً بها ولكن من لا يتق الظلم يظلم
رجال غد لا تطلبوا المال مطلباً فما العيش عيش الوادع المتنعم
ولكنما يحيا الذى يرهق العدا ومن عاش فى أمن من الناس يسأم
ولا تحسبوا الماضى أعز مكانة ألا تلك دعوى الخائب المتلوم
يمهد عذراً للهوان بذمه بنى عصره فى كل قول مرجم
بني وطنى كونوا قلوباً تكن لكم مناعتها من كل عار ومأثم
فما تسلك الأوزار فى الناس مسلكا
الى القلب لولا ثغرتا الجيب والفم
أحب الذى أعطيت نسيان موضعى
لدى كل نهب فى الحياة مقسم

عبد اللطيف النشار

الفنون

الفن البابلى الاشورى

للدكتور احمد موسى

اذا كنا قد عرفنا شيئاً عن الفن المصرى من عمارة ونحت وتصوير وفهمنا كيف أن هذا الفن كان إلى حد ما أساساً للفن الأغريقى ، وعلمنا أن الحضارات تقاس بالفن ، أمكننا أن ننتقل اليوم إلى حضارة فنية أخرى هى حضارة بابل القديمة (٣٨٠٠ — ٦٢٥ ق . م .) والجديدة (خالديا ٦٢٥ — ٥٣٨ ق . م .) وآشور (٢٢٥٠ — ٦٠٦ ق . م) التى لم تبلغ فى مجموعها مستوى عظمة الحضارة المصرية نسبياً ؛ فضلا عن أنها لم تكن أساساً اتخذه الاغريق لحضارتهم الفنية ، رغما عن وجود بعض الشبه الضئيل بين النحت البابلى الأشورى وبين الأغريقى ، من حيث عدم الاكتفاء بالخطر المحدد للمنحوتات النصف البارزة والمصورات (كما رأينا فى الفن المصرى) ، وإخراجها شاملة بعض تفاصيل أعطت شيئا من الحياة قربها من النحت الاغريقى .

ويحسن قبل التكلم عن الفن البابلى الآشورى وعن مميزاته أن نعرف شيئاً عن نشأة بابل وآشور اللتين كانتا مصدر حضارة غرب آسيا . ففى الجزيرة المحصورة بين نهرى دجلة والفرات التى تعد من أخصب البقاع الصالحة للزراعة ، نشأت بابيلونيا من الجنوب وآشور على نهر دجلة من الشمال .

وإذا رجعنا إلى التاريخ الذى اعتمد واضعوه على الآثار والدراسات الفنية ، فاننا نرى أن الحفريات التى أجريت فى مناطق كثيرة من هذه البلاد ، دلت على أن أول آثار الانسان المتحضر نوعاً رجعت إلى حوالى عام ٤٠٠٠ ق . م .

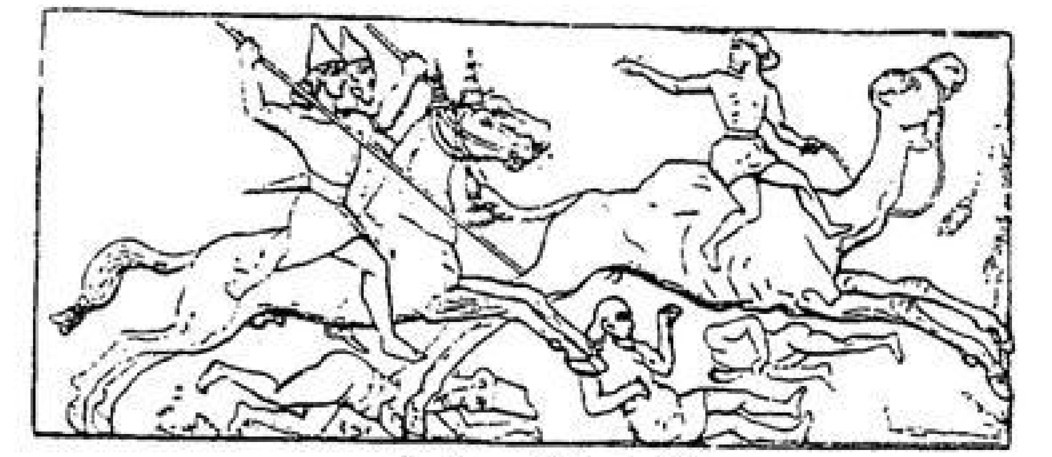
على أنه لا يهمنا هنا أن نعرف إن كان أصل هؤلاء الناس من الآريين أو من الساميين ، كما أنه لا يعنينا أن نبحث لتحديد نوعهم ، ولكن المهم أن نعلم أن بابل نفسها انقسمت بملكتين شمالية وجنوبية ، ثم اندمجتا معاً حوالى عام ٢٣٠٠ (٢٠٠٠ ؟ ق . م) فى عصر الملك أيرى أكو Iri-Aku وكانت مدينة بابل على نهر الفرات (على خط عرض يافا تقريبا) عاصمة لها

أما أشور فهى أقدم كثيرا من هـذه ، إذ قامت الحضارة فيها عام ٢٢٥٠ ق . م . على أساس حضارة بابل . وكانت مدينة نينوى Nineveh لعهد طويل عاصمة لها ، وهى واقعة على الضفة الشرقية لنهر دجلة أمام مدينة الموصل الحالية ، وفيها ظهر الفن الآشورى الرائع فى المرحلة الزمنية المحصورة بين القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد ، واستمر التقدم فى هـذه الفترة حتى تأسيس مملكة آشور ، وازدهار الفن فى عصر ساراجون (٧٢٢ - ٧٠٥) وسُنَاهريب (٧٠٥ - ٦٨١) وأسوربانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق . م .) ولم يتدهور الفن إلا فى عصر نابوبولاسر واتجه بعد ذلك اتجاها آخر عند ما حكمها كيروس بن قمبيز Kyros سنة ٥٣٩ ق . م . وضمها إلى مملكة الفرس

هـذا سرد تاريخى بسيط اقتصرت فيه على ما لا استغناء عنه لمن يود الوقوف بشكل إجمالى على الحالة التى نشأ خلالها الفن البابلى الآشورى ، الذى ينقسم إلى عمارة ونحت وتصوير كالفن المصرى والاغريقى وغيرهما .

ونظراً لقلة الأحجار فى هذه البلاد ، تجد أن العمارة لم تكن رائعة ، فضلا عن تهدمها جميعها لضعف اللبن الذى استخدم فى معظم مبانيها إلى جانب الآجر

وبالدراسة الاجمالية لبقايا العمارة البابلية الآشورية ، يمكننا أن نعرف أنها خلت من الأعمدة التى كانت من أهم مميزات الفن المصرى والاغريقى ، ولذلك تجد أن الحوائط كانت سميكة إلى حد بعيد ، فضلا عن إقامة أكتاف لها من البناء لتساعد على تقوية الحوائط المرتفعة .



(ش ١) الفروسية - نمرود

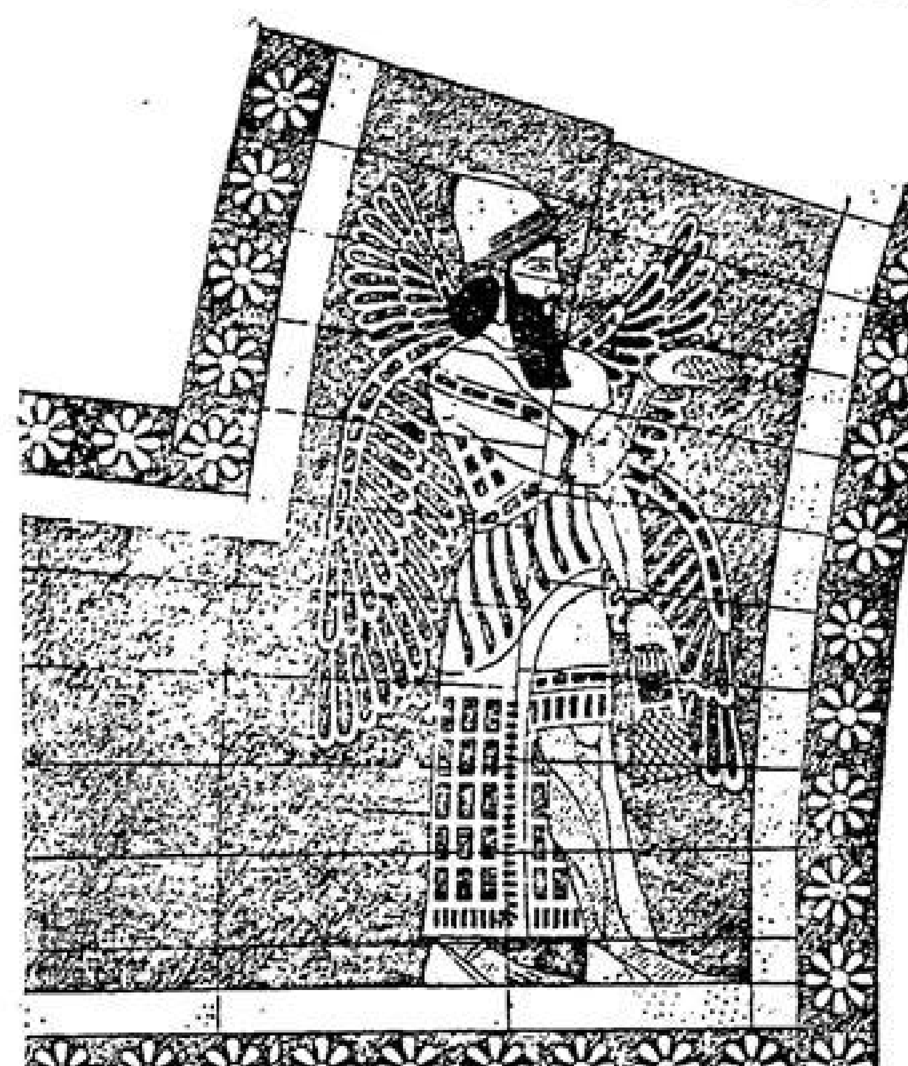
إلا أن لبابل وآشور ميزة قد تعادل النقص الناشىء عن عدم إنشاء الأعمدة ، وهى القباب التى بنيت على هيئة نصف كرة والقبوات التى أقيمت على شكل عقود نصف دائرية أو نصف بيضاوية ، بجانب

السقف المسطحة التي كانت فوق أعمدة ارتكزت على أكتاف الحوائط

ودفع التحضر أهل بابل وآشور إلى وجوب زخرفة مبانيهم ، فتراهم أحرقوا الطوب وصقلوا سطحه بالحرارة حتى أصبح لامعاً كالصيني ، فأعطى لهذه المباني شيئاً من الجمال والبهجة علاوة على الرسوم والتصاوير التي عملت عليها ، والتي مكنتنا من تحديد درجة تحضرهم .

وإذا قارنا معابد بابل وآشور بالمعابد المصرية ، نرى أنها أقل فناً منها ، ذلك من حيث هندسة البناء ، والانشاء الكلي وجمال الطراز

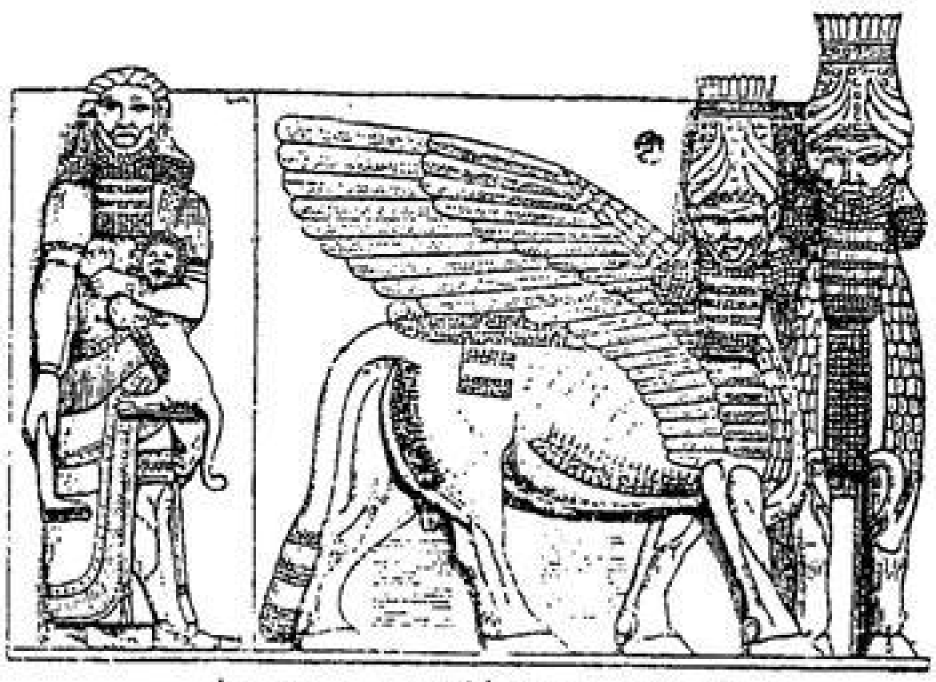
أقيمت هذه المعابد عادة على مرتفع من الأرض ، تعلوه مصطبة بلغ ارتفاعها أحيانا ثلاثة عشر متراً ، أو مصاطب بعضها فوق بعض (كهرم سقارة المدرج) انتهت بقبة مزخرفة علت الهيكل المقدس وتماثيل وصور الآلهة .



(ش ٢) تغطية زخرفية للحوائط

هذا بجانب مبانيهم التذكارية كبرج بابل (٢٣٠٠ ؟) الذي ذكر هيرودوت أنه كان مكوناً من سبع مصاطب (Herodot, 1 : 178 & 3 : 158) ، والبناء التذكاري المسمى معبد بورسيبا Borsippa في الجنوب الغربي من بابل أنشأه نيبختنصر Nebukadnezar (٦٠٥ — ٥٦٢) وبيرس نمرود Birs Nimrud بالقرب من هيلا جنوب بابل .

كل هذا قد تهدم ، وبعضه لايعرف له أثر ، كما تهدمت كل المباني العادية إلى حد يصعب معه التعرف على حالتها بدقة ، ولكننا إذا نظرنا إلى نتائج أعمال الحفر وبقايا الخرائب ، نستطيع أن نصل إلى تكوين فكرة تكاد تكون صحيحة عن تصميمات المباني ، فالقصور والبيوت كانت مربعة الشكل توسطها صحن يعلوه سقف مفتوح الوسط (كحوش قصر حفر رزباد) أو بدون سقف ، تفرعت منه غرف السكن التي كانت سقوفها على هيئة قباب أوعقود نصف دائرية أو نصف بيضاوية كما سبق القول .



(ش ٣) إحدى اركان مدخل خورزباد

أما العصور على وجه الخصوص فكانت في بابل وآشور متشابهة تشابها قوياً ، فهي مع بساطة تكوينها الانشائي كانت كثيرة التحلية والتصاوير والمناظر التي كانت بألوان بلغت الستة أحيانا ، وكانت الردهات والصالات كثيرة بلغ بعضها من ٢٨ إلى ٥٢ متراً على حين كان العرض من ١٠ إلى ٢٠ متراً فقط .

وكانت النوافذ غريبة الوضع ، فكانت عبارة عن فتحات تركت في أعلى الحوائط وأسفل السقف مباشرة .

من هذا نرى أن العمارة لم تكن عظيمة في بابل وآشور إلى حد يسمح لنا أن نقول لولا المنحوتات والتحليات والزخارف والرسومات النصف بارزة والمحفورة لما سجل تاريخ الفن شيئاً كثيرا لهذه البلاد .



(ش ٤) هيئة ملوك أشور

وبجمل التعريف أن المشاهد لبقايا المنحوتات والزخارف والتصاوير الخ ، يرى أنها مليئة بالحياة ، كما يلاحظ قدرة الفنان وثبات يده في العمل . وقد وجدت رسومات نصف بارزه على لوحات من حجر الباستر المعروف شملت مناظر الآلهة والانسان والحيوان كما شملت كثيراً من طراز الملابس التي اعتنى باخراجها عناية شديدة

ولعلنا بمشاهدة بعض الصور هنا نلاحظ الدقة التي وجهت إلى إظهار تموجات الشعر والاكثار من الظل والنور .

ومما تجب ملاحظته أن هناك وجه شبه إلى حد ما ، بين ما رأيناه من منحوتات المصريين ومصوراتهم وبين ما نراه الآن من مخلفات بابل وآشور ، وذلك باظهار الأجسام كاملة التكوين والتصوير بحسب ما يجب أن تظهر به أمام المصور في حالة من الجفاف والصمت ، ولكنها تميزت باشتمال الأجسام على شيء من خطوط التحديد الذي أظهر تفاصيل العضلات ، إلى جانب هذا كان النحت والتصوير الآشوري على وجه الخصوص متقدما إلى حد يقربه من روح النحت والتصوير الاغريقي .

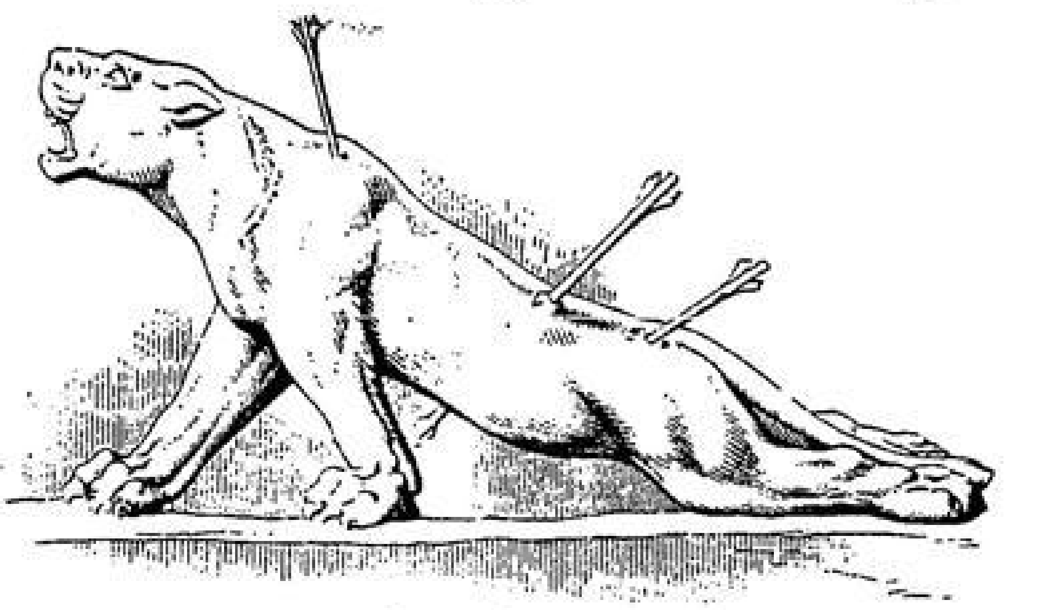
وما وقع فيه الفنان المصري من الخطأ في تصوير الحمامات ؛ وقع فيه الفنان البابلي الآشوري أيضاً ، فترى تصويره لها كان كما لو كانت كل قطعة منها قائمة بنفسها لا تتصل بمجاوراتها

ومن ضمن المميزات الفنية ظهور الأسد أحيانا برأس إنسان في معظم المصورات البارزة والمسطحة ظهوراً مستمراً ، إلى جانب الأجنحة التي نحتوها أو صوروها عند ما مثلوا آلهتهم



(ش ٥) رأس آشوري - نمرود

وفي المتحف البريطاني ومتحف اللوفر وغيرهما مجموعات كبيرة مما وجده الأثريون من بقايا النقوش والزخارف والتماثيل ، وعدد هائل من اللوحات التي قيل أنها تكون مكتبة أسوربانيبال . والفضل في ذلك راجع إلى شخصيات بارزة أمثال أميل بوتا وهنري ليارد وهرمز رسام وجورج سميث وغيرهم ، استغل كل منهم في منطقة معينة لا يتسع المجال لايضاحها وإيضاح نتائجها



(ش ٦) اللبؤة المصابة - كريونشيك

ولعلنا بالنظر إلى المصورات التي تشملها هذه المقالة ، نأخذ فكرة عامة عن الفن البابلي الآشوري كما أنه يمكننا بالمقارنة أن نعرف إلى أي مدى وصل هذا الفن نسبيا إلى الفن المصري

أنظر إلى الصورة الأخيرة (ش ٦) تر أروع ما يستطيع فنان إخراجه ، فهي مليئة بالحياة وصدق المحاكاة ، إلى جانب دقة التناسب وعظمة الاخراج

فعند ما أصيبت اللبؤة بسهمين في نصفها الخلفي انهزمت بهذا النصف ، ونلاحظ أن النصف الأمامي لايزال حياً برغم اختراق السهم الثالث للقلب أو لما يجاوره . أنظر إلى بروز المخلبين الأماميين وإلى اختفاء نظيريهما من الخلف ، ولاحظ ما ظهر على ملامح الوجه من علائم الألم التي تمثلت في التجاعيد الواضحة على الأنف . أما الفم فهو يمثل الاستغاثة بكل معانيها

فهذه إلى جانب غيرها من الأمثلة الصادقة لفن إن لم يكن في مقدمة الفنون القديمة ، دليل على أنه من الفنون التي لا يمكن للراغب في فهم الجمال الفني الاستغناء عن معرفتها ؟

« احمد موسى »

القصص

الوالد

للكاتب القصصي جي دو موباسان

جان دوفالنوا صاحب لى لا أفتأ أزوره الفينة بعد الفينة . وهو يقيم فى قصر له على ضفة جدول فى بعض الغياض ، وقد لاذ بهذا السكن بعد أن قصف وترف فى باريس خمسة عشر عاما سوية . وقد عرته بغتة ملالة من كل ما فى هذه المدينة من مناعم ومآدب ورجال ونساء وملاعب ، وجاء يعتزل فى هذه الدار التى فيها ولد وفيها نشأ .

ونمضى إليه اثنين أو ثلاثة من الصحب نقضى معه أسابيع معدودات ، ولقد كان سروره بنا إذ يلقانا بعد نأى ، بالغا شديدا ، وابتهاجه باسترجاع ما أفلت منه من حبور بعزلته إذ نتولى عنه جما وفيرا .

ولقد وفدت عليه فى الأسبوع الماضى فهش وبش . وكنا نقطع الساعات تارة جميعاً وتارة منفردين ، والعادة أن يقرأ هو واشتغل أنا بالنهار ، وحين تأخذ عين الشمس فى الاغتماض نقبل على السمر إلى أنصاف الليل .

وكنا فى يوم الثلاثاء الماضى ، وكان يوما حروراً متلظيا ، قد جلسنا فى جنح ليله نتأمل جريان الماء فى الجدول تحت أقدامنا ، وكنا نتساجل ما يتوارد علينا من أفكار شديدة الغموض عن النجوم الخائضة فى الماء وكأنها بين أيدينا تمرح سبحاً . كنا نتناقل ما تتمخض به أذهاننا من خواطر كثر غموضها واشتد اختلاطها وأخش إيجازها ، ذلك أن عقولنا شديد قصورها ، مستفحل ضعفها ، بالغ عجزها . أما أنا فقد كنت مشفقاً على الشمس المتوارية فى الحجب لدى الطفل . كنا نفكر فى هذه الكائنات المبثوثة فى هذه العوالم ، ومختلف أشكالها العجيبة التى يتقاصر دونها وهم الانسان ، وخواصها التى لا تدرك كنهها الفطن ، وأعضائها الخفية المحجوبة . والحيوان والنبات وكافة الأجناس وسائر الجواهر وشتى المواد ، مما لا تكاد ترتفع إليه أذهان الانسان .

وبينما نحن كذلك إذا بصوت على بعد يصيح :

- سيدى ، سيدى :

فقال جان :

هلم يا يا تيست

فلما اهتدى إلينا الخادم قال :

- الغجرية يا سيدى

فجعل صاحبي يضحك كمن به مس ، وما عهدته يضحك كذلك إلا نادراً ، ثم قال :

إنا إذن فى ١٩ يوليو ؟

- نعم يا سيدى

- إذن قل لها تنتظر وأعدلها الطعام فانى عائد بعد عشر دقائق .

ولما انصرف الخادم أخذ صاحبي بذراعى وقال :

- فلنمش على مهل ، إنى قاص عليك قصة هذه المرأة :

منذ سبع سنين أى فى السنة التى حللت بها هنا : خرجت فى أصيل يوم أطوف فى الغابة . وكان يوماً طلقاً صافياً كيومنا هذا وجعلت أسير متئداً تحت أفنان الدوح أتأمل نجوم السماء من خلل أوراقها ، مستجلبا لرئتى بليل نسمات الليل وطيب زهر الغابة .

وكنت قريب عهد بهجرى باريس . إذ تملكني سأم شديد وعافت نفسى كل ما رأت عينى وأخذت منه بنصيب من كل سخيف وزرى ، وذميم مدة خمسة عشر عاماً .

وأمعنت فى السير وتوغلت فى مسالك هذه الغابة ومضيت فى فج منها عميق يؤدى إلى قرية جروزى على مدى غلوة من هنا ، وإذا بكلبى قد وقف فجأة ونبح ، فظننت أنه رأى ذئباً أو وحشاً ضارياً فدلفت متسللا كظيم الخطو ولكنى سمعت بغتة صراخاً علا ، صراخ إنسان يستغيث مختنقا تتمزق له نياط القلوب من رحمة . فما شككت أنه رجل يغتاله مغتال فى خميلة فعدوت لنجدته وبيمينى هراوة غليظة ضربتها مردية

دنوت من هذا الصراخ الذى كان ينجلى كلما قاربته ولكنه خفيض مع ذلك مكظوم ، كأنه صادر من بيت ، وربما من خص حطاب ، وكان كلبى بوك يتقدمنى على قيد خطوات تارة يعدو ، وتارة يقف ، ثم ينطلق انطلاق السهم هائجا حنقا مسترسل الهرير ولم نلبث أن برز لنا كلب آخر أسود عظيم الهيكل كأن عينيه جمرتان قد كشر عن أنياب عصل يلمع بين شدقيه بياضها

فهممت أن أهوى عليه بهراوتى ولكن بوك سبقنى إليه فتلاحما

وتصارعا وتجاولا ، ومضيت أنا قدما ، وإذا بى أكاد أتعثر بجواد منطرح فى الطريق ، وإذ وقفت مبهوتا أتأمل هذه الدابة لمحت عربة أمامى ، بل بيتاطائفا ، أحد مساكن هؤلاء الباعة المتجولين

من هنا كان مصدر هذا الصراخ الفظيع المتلاحق . ولما كان الباب من الناحية الأخرى ، فقد درت بهذه العربة واندفعت أرقى الدرجات الثلاث الخشبية وأنا أهم بأن أصرع المعتدى بهراوتى

ولكنى شاهدت عجبا ، والتبس على الأمر فلم أفقه لأول وهلة شيئا : هذا رجل قد جثا على الأرض كأنه يصلى ، وعلى الفراش الذى استوى فى جوف هذه العربة شىء قد جثم لا سبيل إلى تمييزه : بشر نصف عار قد انطوى على نفسه وهو يتلوى كالثعبان لا أرى وجهه ، يميد ويضطرب وكأن صراخه خوار ثور

فاذا هى امرأة تعانى آلام الوضع

فما إن أدركت كنه الأمر وتبين لى ماغمض من حقيقة هذا الحادث الذى كان عنه هذا الصراخ حتى اذنتهما بوجودى ، فجعل الرجل وهو يشبه أهالى مارسيليا يسألنى ملحا ذاهب اللب أن أغيثه وأغيثها وهو يواثقنى بكلام لا آخر له على الوفاء والذكر الجميل ، بما أقضى منه عجبا . ولم أك قد رأيت ولادة قط ، ولا أسعفت أنثى قط فى مثل هذه الأحوال ، وذكرت له ذلك فى بساطة ، وأنا أنظر ذاهلا إلى هذه التى تصم الآذان جلجلة صراخها فى هذا الفراش

ثم سألت الرجل الواهن الحسير وقد استرددت جأشى : ما بالك لا تذهب إلى القرية القريبة ؟ فقال إن جواده هوى فى حفير فانكسرت ساقه فهو رازح لا يريم

— فقلت له : ياهذا لا بأس عليك . الآن نحن اثنان . إنا سنتعاون فى جر العربة بامرأتك إلى بيتى .

ولكنا لم يسعنا إلا الخروج إلى الكلبين ، إذ علا هريرهما وما فصلناهما إلا بضرب بالهراوة شديد كاد يخمد أنفاسهما ، ثم خطر لى أن أشدهما بين أقدامنا إلى العربة استعانة بهما ، هذا يمنة وذاك يسرة وما انقضت عشر دقائق حتى كنا على تمام الأهبة . وأخذت العربة تسير الهوينا ، فترج ـ باهتزاز عجلاتها فيما تخط فى الأرض ممعنة من أخاديد ـ تلك المرأة المسكينة الممزقة الأحشاء.

وياله من طريق! كنا نسير لاهثين لنا زفير مرتفع ، وعرق ناضح . نزلق حيناً ، وحيناً نقع ، بينما الكلبان المسكينان يزفران بين أرجلنا كزفير النار

وقضينا ثلاث ساعات حتى بلغنا القصر ، وإذ دنونا من الباب انقطع الصراخ داخل العربة . وإذا الأم والمولود فى أحسن حال ، وأرقدنا الأم وطفلها فى فراش وثير . ثم ركبت عربتى لأستحضر الطبيب بينما كان صاحبنا المارسيلى وقد اطمأنت نفسه ، يلتهم الطعام فى شراهة ويحتسى حتى لا يعى من سكر ابتهاجاً بهذه الولادة السعيدة

وكانت بنتاً

وأقام عندى هؤلاء النفر ثمانية أيام ، والوالدة وهى السيدة ألمير لها بصر بالغيب عجيب ، وقد بشرتنى بحياة مديدة ومناعم عديدة

وفى العام الذى بعده وفى مثل هذا اليوم لدى الغسق جاء الخادم الذى حضر من هنيهة يدعونا ، وكنت فى حجرة التدخين بعد طعام العشاء ، يقول : « غجرية العام الماضى جاءت تشكر سيدى »

فأمرت بدخولها ، وعرتنى دهشة إذ رأيت بجانبها غلاما بالغا أشده ، ممتلئا شحما ولحما ، أشقر اللون من أهالى الشمال ، فسلم على ثم جعل يقول كزعيم لطائفته إنه علم ما كان من إكرامى للسيدة ألمير ، وأراد أن لا تمر هذه الذكرى دون أن يفدا للشكر والاعتراف بيدى عليهما

وقد أكرمت مثواهما وأمرت باحضار الطعام لهما فى المطبخ وأوفرت قراهما ليلتهما ، وارتحلا فى الغد

وهكذا فى كل عام فى نفس اليوم تفد هذه المرأة مع مولودها ذاك ، وهى طفلة رائعة الحسن ، وفى كل مرة مع . . . رجل جديد . إلا واحدا منهم فقط هو من أهالى أوفرنيا وقد بالغ فى شكرى وأجزل لى الثناء ، حضر معها حولين متتالين . والصبية تدعوهم جميعا « بابا » كما نقول « سيدى » عندنا

وكنا بلغنا القصر فلمحنا أمام السلم ثلاثة أشخاص فى انتظارنا وخطا أطولهم نحونا بضع خطوات وحيانا أحسن تحية ثم قال :

— سيدى الكونت إنما حضرنا اليوم لنبدى لك آيات الشكر . . .

أما هذا الرجل فكان بلجيكيا

ثم تكلمت بعده أصغر الثلاثة بتلك اللهجة المدربة المتكلفة فى الأطفال إذ يلقون عليك تهنئة أو ثناء

أما أنا فقد أبديت البساطة وانتحيت بالسيدة ألمير ناحية وبعد حديث قصير قلت لها :

— أهذا أبو طفلتك ؟

— كلا ياسيدى

— أمات أبوها ؟

— كلا ياسيدى . ما نبرح يلقانى وألقاه أحيانا . وهو من رجال العسس

— عجبا ! أليس هو إذا ذاك المارسيلى الأول صاحب يوم الولادة ؟

— كلا ياسيدى . ما كان ذاك إلا وغداً زنيما سلبنى مدخر مالى

— ورجل الدرك والد ابنتك الحقيقى أيعرف ابنته ؟

— نعم يا سيدى ، بل هو شديد الحب لها ، ولكنه لايستطيع تعهدها ، إذ له من امرأته أولاد غيرها

أحمد أبو الخضر منسى

البريد الأدبي

حول تقرير مسيو فابر عن المسرح المصري

أتم المسيو أميل فابر الخبير المسرحى الذى انتدبته الحكومة المصرية لدراسة المسرح المصرى والوسائل اللازمة لترقيته - مهمته أخيرا ووضع عنها تقريرا موجزا أذاعته الصحف، وخلاصة تقرير المسيو فابر، هو أن توجد بمصر نواة صالحة للمسرح ولانشاء فرقة قومية، وأن توجد بالأخص عناصر قوية للتمثيل الهزلى (الكوميديا) تضارع نظائرها فى الأمم الراقية، وأن مصر تنقصها المسارح الحديثة، وأن الاختراع لا يزال متأخرا؛ بيد أن المسيو فابر لم يستطع أن يبدى رأيه فى شأن التأليف المسرحى بمصر ولا فى شان اللغة المسرحية التى يحسن اتباعها، وإنما ذكر فى ذلك ملاحظات قال إنه سمعها من أصدقائه المصريين، وقد سبق أن لاحظنا حينما انتدبت الحكومة المصرية المسيو فابر ليقوم بهذه المهمة أن فى هذا الانتداب شيئاً من الشذوذ، وأن مصر قد ذهبت بعيدا فى سياسة الاستعانة بالخبراء الأجانب. ذلك أن المسيو فابر رغم مواهبه الفنية البارعة ورغم خبرته المسرحية الفائقة التى جعلته مدى ثلاثين عاما مديرا لمسرح الكوميدى فرانسيز، هو أبعد الناس عن روح المسرح المصرى والظروف الاجتماعية التى تحيط به والخلال الشرقية التى تتصل بمهمته، وقد جاء تقرير المسيو فابر مؤيدا لما لاحظنا، فهو لم يستطع أن يقوم بدراسة عميقة لشئون المسرح المصرى لأن هذا المسرح مغلق بطبيعته عليه، وإنما اكتفى بدراسة مظاهره المادية، وقد كان خيرا لو أن الحكومة بدلا من انتداب خبير أجنبى فكرت فى أن توفد مندوباً مصرياً أو أكثر لدراسة المسرح الحديث فى عواصم أوربا دراسة عميقة. والتوفر بعد ذلك على تنظيم المسرح المصرى بما أفاد من خبرة ومقارنة، هذا هو الوضع الطبيعى للمسألة، أما انتداب خبير أجنبى لدراسة موضوع شرقى عربى فهو من تناقضات سياسة الاستعانة بالخبراء الأجانب فى كل شىء وهى سياسة قد عفت اليوم.

حول العيد المئوى لوزارة المعارف

أشارت وزارة المعارف فى بعض بياناتها عن احتفالها بعيدها المئوى أنها اضطرت إلى الاختصار فى الاجراءات والحفلات نظرا لأنها لم تبدأ استعدادها لإحياء هذا العيد القومى فى الوقت المناسب؛ وهذا اعتراف يؤسف له، والواقع أننا لم نوفق بعد إلى تنظيم الأعياد والذكريات القومية تنظيما مرضيا، وفى كل مرة تعرض فيها إحدى هذه المناسبات، نفكر فى الاحتفاء بها بعد فوات الوقت. وأحيانا تعرض ذكرى العيد المعين قبل وقوعه بأعوام فيتحمس لها البعض، وتقوم حولها دعاية صحفية واسعة، ولكن الجهات الرسمية تبدى فتورا مدهشا. مثال ذلك ما حدث فى مسألة الاحتفاء بالعيد الألفى للجامع الأزهر؛ فقد نوه بأهميته واقترابه منذ أعوام، ووضعت مشيخة الأزهر برنامجا للاحتفاء بهذا العيد؛ ثم حدث تغيير فى المشيخة فانهارت كل التدابير السابقة، وجمدت كل حركة فى هذا السبيل بحجة أن الوقت لايزال فسيحا، مع أن الاحتفاء بهذا العيد القومى الجليل يقع فى جمادى الأولى سنة ١٣٥٩ هـ أعنى بعد ثلاثة أعوام فقط؛ ولم تتخذ مشيخة الأزهر بعد أى إجراء جدى فى هذا السبيل. فمتى تغدو لنا همم وتقاليد صالحة للاحتفاء بأعيادنا وذكرياتنا القومية؟

ابرس أول مكتشف لأسرار الفراعنة

احتفل أخيراً فى ألمانيا بمرور مائة عام على مولد القصصى والعلامة الأثرى الألمانى جورج إبرس G. Ebers ويرتبط اسم جورج إبرس بمصر والفراعنة ارتباطا وثيقا، فقد كان هذا العلامة هو أول من وقع على أول ورقة من أوراق البردى المصرية، وأول من استطاع أن يصف أحوال الفراعنة فى أسلوب قصصى ممتع. وقد ولد إبرس فى برلين سنة ١٨٣٧، وجالت بذهنه منذ الحداثة أمنية عزيزة هى أن يزور بلاد الفراعنة وما وراءها من البلاد التى تخلب سيرها لبه. وعني بدراسة تاريخ مصر القديم دراسة خاصة، وعين فى سنة ١٨٦٥، مدرسا للتاريخ المصرى القديم فى جامعة فينا، ثم عين أستاذا له فى جامعة لايبزج سنة ١٨٧٠؛ وهنا فكر إبرس فى تحقيق أمنيته فسافر إلى مصر والنوبة، وعثر أثناء تجواله بمصر على ورقة البردى الشهيرة التى عرفت باسمه، وهى ترجع إلى نحو الف وستمائة عام قبل الميلاد وبها معلومات طبية فرعونية، فحملها معه إلى ألمانيا، وأذيعت محتوياتها، فأثارت فى الدوائر الأثرية أعظم اهتمام، ونال إبرس

شهرة عظيمة ، وكان ذلك سنة ١٨٧٤ ؛ وعاد إبرس وذهنه يفيض بسحر مصر القديمة ، ويتوق إلى التجوال فى هذه السير العجيبة ووصفها ، وكان قد أصدر منذ سنة ١٨٦٨ كتابا عنوانه « مصر وكتب موسى » Aeggpten und die Bücher Moses ، وكتابا آخر عنوانه « مصر بالقول والوصف » Aeg. ni Wortcono Bild ، فرأى عندئذ أن يبدأ كتابة سلسلة كبيرة من القصص الفرعونية ؛ فاستقال من منصبه الجامعى ، وعكف على التأليف والكتابة ، وأخرج قصته الأولى ابنة ملك مصرى « Eine agyptische Konigstochter » وهى قصة فرعونية وقعت حوادثها فى عهد الملك ابسماتيك ، وفيها وصف لنضاله ضد الفرس . ثم أتبعها برواية « وردة » Uarda (سنة ١٨٧٧) ثم رواية « القيصر » Der Kaiser (سنة ١٨٨١) ثم سيرابيس (سنة ١٨٨٥) ثم « الأختين » Die Schwestern ، ثم « كليوباترا » (سنة ١٨٩٤) ؛ وقد اشتهرت قصص ابرس الفرعونية وذاعت ذيوعا عظيما . وطبعت مؤلفاته مجتمعة فى ٢٥ مجلدا سنة ١٨٩٥ ، وترجمت إلى معظم اللغات الأوربية . وتوفى إبرس فى سنة ١٨٩٨ ، بعد أن حقق با كتشافاته وكتاباته فى تاريخ الفراعنة فتحا عظيما

التسليحات . السباق والأزمة :

صدر أخيرا فى انكلترا كتاب سياسى خطير عنوانه : « التسليحات السباق والأزمة » Armamentsi the Race and the Crisis بقلم كاتب سياسى كبير هو فرنسيس هرست ، ومسألة التسليح ، والتنافس فيها هى مسألة اليوم فى أوربا ، وقد بلغت اليوم ذروة التنافس والاضطرام ، ويمهد المستر هرست لكتابه بمقدمة تاريخية يقول فيها إن التسابق فى التسليح فى القرن التاسع عشر يرجع إلى بواعث وهمية وإلى مخاوف لا أساس لها . وأما الخصومة فيما قبل الحرب بين انكلترا وألمانيا فترجع إلى أن اللورد جراى قد تدخل فى سلسلة المحالفات الأوربية .

ويستعرض الكاتب بعد ذلك مسابقة التسليح التى تجرى منذ سنة ١٩٣٣ ، ويقدم عنها بيانات وأرقاما واضحة ، ومن رأيه أن حمى التسليح الحاضرة فى أوربا ترجع إلى السياسة الفرنسية فيما بعد الحرب ، وهى سياسة زادها الميثاق الفرنسى السوفيتى تعقيدا وخطرا ، وإن هذا الميثاق يرمى إلى تفويق ألمانيا . ثم يقول إن نفقات ألمانيا فى الأعوام الخمسة الأخيرة على التسليح هى بلا ريب أدنى من نفقات فرنسا ، وأدنى من نفقات روسيا ، وربما كانت مساوية لنفقات بريطانيا ؛ ورخاء ألمانيا الحاضر دليل على أنها تنفق على التسليح أقل مما يذاع . ثم إن ماتعانيه ألمانيا الآن من نقص فى المواد الأولية ينذر بأنها لن تستطيع المضى فى الإنفاق على التسليح بهذه الصورة . ويبدى مستر هرست على العموم تأييدا لوجهة النظر الألمانية ويقول مثل ما تقول ألمانيا إن تشيكوسلوفاكيا تسودها روسيا السوفيتية ، وأن روسيا تنفق على التسليح أكثر مما تعلن أرقامها

ويصور مستر هرست ألمانيا ضحية بريئة لهذا التسابق ؛ وهو رأى لا يقره عليه كثيرون ؛ وقد كان مستر هرست قبل الحرب من خصوم السياسة البريطانية التى تميل إلى مخاصمة ألمانيا ؛ ومن رأيه أن التسليحات الكبرى ليست ضمانا للسلام كما يرى البعض ، وأن الحرب لاتتقى بهذه الصورة بل لا بد لاتقائها أن تبحث أسباب الخلاف والخصومة ثم تعالج بما يزيلها ويمسحها

فى معرض باريس

من العجائب التى سيشهدها زوار معرض باريس الدولى رجل من زجاج من مقتنيات المتحف الصحى الألمانى ؛ وهو أعجوبة من أعاجيب الصناعة الفنية ؛ وهذا الرجل الزجاجى يعطى بالألمانية كل الايضاحات اللازمة عن تركيبه وعن أجزائه ؛ بيد أنه يراد أن يكون هذا البيان بالفرنسية ، ولذلك سيجهز الرجل الزجاجى بالآلات والأجهزة اللازمة التى تجعله ينطق بالفرنسية

كذلك سترسل ألمانيا إلى المعرض مجهر « سايس » الشهير ، وسيوضع فى مكان خاص به تمكن منه تجربة فى رصد الكواكب

تمثال شيخ البلد

يشمل سؤال حضرة م . ح . بأسيوط الفقرات الآتية :

١ — هل عرف النظام الادارى القديم « شيخ البلد » كما تعرفه مصر الآن من أقصاها إلى أقصاها ؟

٢ — هل عرفت هوية هذا التمثال وعرف عمله فى الدولة ؟

٣ — هل الحقيقة هى ما قرأناه فى كتب التاريخ من أن عمال الحفر لما أخرجوا هذا التمثال من مكانه ، راعهم ما وجدوا من شبه بينه وبين شيخ البلد ، فأطلقوا على التمثال « شيخ البلد » ؟

٤ — . . . لزمته هذه التسمية ، ولم يغيرها علماء الآثار ؛ لما لم يعرفوا صاحبه . ولم يجدوا من النقوش والكتابات ما يبوح بسره وينم عن جلية أمره .

٥ — هل للدكتور أن يميط اللثام عن حقيقة التمثال المذكور خدمة للعلم والتاريخ ؟

إنى أشكر حضرة الأستاذ الفاضل لاهتمامه بهذه النقطة ، كما أبدى مزيد سرورى للصلة الأدبية التى أوجدها حضرته بينى وبينه

فعن الفقرة ١ — أقول نعم عرف النظام الادارى القديم « شيخ البلد » لامن الناحية اللفظية ؛ بل من الناحية المعنوية والعملية ، أعنى

أن الذين قاموا بمراقبة تنفيذ أوامر الملوك والأمراء والكهنة ، وتقديم المخالفين للمعاقبة أو المحاكمة ، كانوا من هذه الناحية أشبه شيء بشيوخ البلدان ، كما أن الذين قاموا بملاحظة عمليات بناء الاهرام والمعابد والمقابر والقصور كانت مهمتهم إلى حد ما ، مهمة الرئاسة والاشراف وحصر المسئولية التي يمكن اعتبارها - اذا سمح الأستاذ - مهمة شياخة ! كما كان الذين جمعوا الأموال والضرائب أشبه شيء برجال الادارة .

ويمكن لحضرة الاستاذ اذا رغب التوسع الرجوع إلى :

(1) Breasted : History of Egypt. London. 1925 P. 79 a. 80, about the « Adminstration in the Old Kingdom ».

(2) Erman Ranke : Aegypten im Altertum. Tuebingen, 1923 S. 96, 97 u. 98, ueber « Der Staat der aelteren Zeit ».

٢ - لم تعرف شخصية صاحب التمثال بالضبط ، ولكن يجب ألا ننسى أن العلامة ماريت والرئيس روبي - الذي حضر اكتشاف التمثال الخشبي الذي كان ناقص الساقين وقت اكتشافه ، وقد أكملا من خشب باللون الطبيعي - ما كانا ليوافقا على هذه التسمية على رغم مشابهة ملامح التمثال لشيخ بلدة سقارة في ذلك الحين ، لو أنهما وجداه ممسكا بمقبض فأس أو قيثارة مثلا ! (راجع وصف التمثال : بدليل التحف المصرية الفاخرة لمدينة القاهرة ، تأليف جاستون ماسبرو وترجمة احمد كمال ، الطبعة الأولى سنة ١٩٠٣ صفحتى ٦٩ ، ٧٠)

٣ ، ٤ - تندمجان في الفقرة السابقة .

٥ - اذا كان حضرة الاستاذ الفاضل قد عنى بقراءة كتب التاريخ التي استنتج منها عدم وجود نقوش وكتابات تبوح بسر التمثال . فاني أرى أنه بتكليفي كشف اللثام عن حقيقته - ميال إلى المداعبة ، وأعترف له باني عاجز عن إماطة اللثام عن حقيقته لنفس الأسباب التي صادفت أساتذتنا من علماء التاريخ والاجيبتولوجي الذين لا أعتبر نفسي شيئاً مذكوراً إلى جانبهم والسلام . الدكتور أحمد موسى

أسبوع الجاحظ في الجامعة المصرية

قلنا في العدد الأسبق إن كلية الآداب بالجامعة المصرية ستحتفل بإقامة أسبوع للجاحظ بمناسبة مرور أحد عشر قرناً على وفاته ابتداء من يوم ٢٥ مارس ، ونشرنا برنامج المحاضرات لأيام الأسبوع

ونكتب هذا يوم الجمعة اذ كان أمس (الخميس) اليوم الأول من أسبوع الجاحظ ، فقبيل الساعة السادسة مساء وفد على قاعة المحاضرات بالجمعية الجغرافية الملكية جمهور كبير من المتأدبين . بينهم طائفة من السيدات والآنسات ، وظل الجمهور يتوافد إلى ما بعد ابتداء الحفلة حتى اكتظت بهم القاعة

وفي منتصف الساعة السابعة نهض إلى المنصة الدكتور طه حسين بك عميد كلية الآداب فافتتح الحفلة بكلمة بدأها بأنه يقوم بافتتاح الأسبوع لاعتذار مدير الجامعة لانحراف خفيف ، وشكر حضرات أعضاء قسم اللغة العربية لقيامهم باحياء ذكرى الجاحظ ، وقال : « أريد أن نتصل سنتنا هذه كما اتصلت في العام الماضي بحيث تستحيل دروسنا العامة في كل سنة إلى دروس تحليلية لكاتب أو شاعر أو عظيم »

وقام بعده الدكتور عبد الوهاب عزام فتحدث عن حياة الجاحظ وبدأ بطائفة من مأثور الكلم في تقريظ الجاحظ ، وذكر سيرة مجملة له ، فقال : « ولد الجاحظ بالبصرة ونشأ بها فقيراً ، وروى ياقوت عن المرزباني أنه رؤى يبيع السمك والخبز بسيحان ، ولكن الرجل المستوقد ذكاء ، المولع بالمعرفة لم يكن ليصده شيء عن طلب العلم ، فأخذ العلم عن شيوخ تصدوا للتعليم ، وأفاد مما قرأه ، وتثقف من الأعراب ، وحرص على أن يبحث في كل ما يرى ويسأل كل من يرجو عنده علماً في أمر جليل أو حقير حتى صارت معارفه خلاصة المعارف التي أدركها المسلمون في عصره ، زيادة على ما أدركه هو واستنبطه ، وقد أفاض الاستاذ في التحدث عن نواحي حياة الجاحظ وأشار إلى ما وقع في كتبه من الألفاظ الفارسية فقال : لا أحسب الجاحظ قد حذق الفارسية واستفاد من كتبها .

وتكلم الاستاذ احمد أمين عن « ثقافة الجاحظ » فقال : « ان الجاحظ أكبر شخص تثقف ثقافة واسعة في العصر العباسي ، فقد أحاط بمعارف زمانه تقريباً » ، وقال انه ظل يحصل المعلومات المختلفة حوالى القرن فتيسر له بما منحه من الزمن والصبر والحافظة ما لم يتيسر لغيره ، وذكر الأستاذ أن الجاحظ تثقف ثقافة اعتزال ، وهي أوسع ثقافاته لأنها تتطلب من صاحبها الاحاطة بالأديان المعروفة في عهده ، إلى أن قال : « وقد كانت للجاحظ ثقافة أخرى هي الأخذ عن الكتب ، وكان هذا معيبا ، وكان صاحبه يسمى « صحفياً » ، وبعد أن أفاض في بيان شغفه بالاطلاع والاستقراء قال إن الجاحظ تفرد بالثقافة الواقعية إذ انغمس في الحياة ودرس كل ما وقع تحت حسه ، وأنه أبدع في الناحية الاجتماعية فتكلم عن التجار والصناع والجبناء والبخلاء الخ

وانتهى اليوم الأول من أسبوع الجاحظ بانتهاء محاضرة الاستاذ أحمد أمين .

وفاة درنكووتر

توفى الأديب الشاعر المؤلف التمثيلي المستر درنكووتر في أثناء نومه بسكتة قلبية . وقد تكلمنا عنه بافاضة أيام وفد على القاهرة لالقاء بعض المحاضرات .